

والأمانة الكبرى

حَقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الثالثة

٢٠٢٤ / ١٤٤٦

الطبع والتجليد

Step Ajans Matbaa Ltd. Şti
Göztepe Mah. Bosna Cad. No: 11 Bağcılar / İstanbul Tel: 0212
4688846
Sertifika No: 45522

عنوان دار المنبر

Yamanevler Mah. Küçüksu Cad. Bildircin Sok. No: 9 Dükkan: 1
Ümraniye / İstanbul

رقم الهاتف

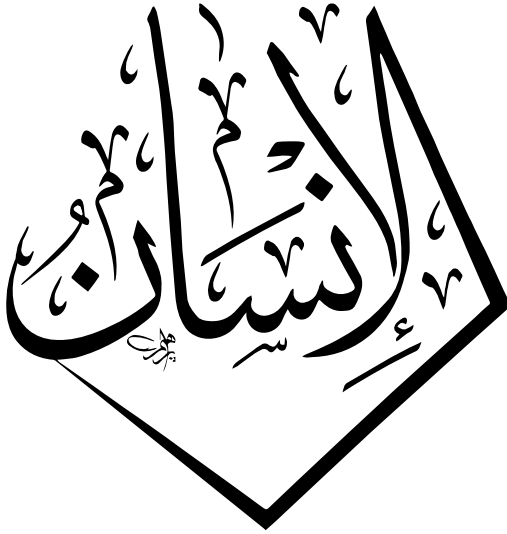
00905397626695

bilgi@kureselkitap.com

www.kureselkitap.com

دار المنبر

نحوفهم صحيح للحقائق الإسلامية



والأمانة الكبرى

تأليف

لأنبي عمر الدين البصراوي بن عمر الدين البصراوي

من إصدارات موقع الحكمة والأثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

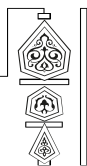
أخي المسلم الكريم...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أما بعد:

فإننا بين يدي موضوع بالغ في الأهمية، بل هو حقيقة الكون كله وسبب وجودك أيها الإنسان على ظهر هذه البسيطة، ألا وهو موضوع «الإنسان والأمانة الكبرى».

وأتركك أخي الكريم مع تفاصيل هذا الموضوع الخطير من خلال السطور التالية، التي أسأل الله تعالى أن يجعلها نافعة ومفيدة لكل من قرأها وأن يجعلنا ممن يعمل بما فيها، فإن خير العباد هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، جعلني الله وإياك منهم آمين.



الإنسان والأمانة الكبرى

فإن المتأمل في هذا الكون الفسيح الشاسع ليرى عجباً عجائباً من هذه المخلوقات العظيمة التي خلقها الله تبارك وتعالى سموات ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، كواكب سيارات، وأنهار وبحيرات، زروع وأشجار، محيطات وبحار، برار وقفار، دواب وسباع وهوام، إنس وجن، ملائكة وكرسي وعرش كبير عظيم.

مخلوقات تدعو الإنسان إلى التأمل والتدبر والتفكير ليقف وقفة صادقة مع نفسه وليعلم عظمة ربه تبارك وتعالى قال جل وعلا: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقال جل من قائل علياً: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ اللَّفَافَ فِيهِنَّ



ثَوْرًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴿نوح: ١٠-٢٠﴾.

وكثيراً ما يدعو الله تبارك وتعالى عباده إلى التأمل والتفكير والتدبر في هذا الكون العظيم؛ فإن العبد يجترئ على الذنوب والمعاصي كلما نسي ربه تبارك وتعالى، وكلما هان عليه أمر الخالق ﷻ؛ فَمَنْ أَكْثَرَ التَّدْبِيرِ وَأَدْمَنَ الاعتبار والتفكير أورثه ذلك خوفاً وخشية من الجبار جل جلاله وأورثه حسن عبادة وشكر لهذه النعم العظيمة والآلاء الجسيمة التي لا تعد ولا تحصى ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، قال الله جل وعلا: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿يونس: ١٠١﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿١١﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١، ١٢].

وبينما العبد يتأمل في هذا الجلال والجمال والإبداع الدال على عظمة وقدره خالقه وموجده من العدم وعظيم حكمته وسعة علمه وقدرته جل وعلا إذا به بسؤال يَفْجُؤُهُ وَيُلْحِقُ عليه أن يجب عليه، سؤال يَنْبَغِي



على كل عاقل أن يسأله لنفسه وأن يجد الإجابة عليه في هذه الدنيا قبل أن ينتقل إلى الدار الآخرة، إذ بمعرفته ومعرفة إجابته والعمل بمقتضى ذلك نجاته وسعادته في الدنيا والآخرة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

فما هو يا ترى هذا السؤال الكبير! فإن أعيانك معرفته فهناك إياه:

لماذا خلق الله هذا الخلق كله؟

وما هي علاقة الإنسان بهذه المخلوقات؟

وما هو موقعه بالنسبة لها؟

وما هو المطلوب من الإنسان القيام به بين يدي خالق هذا الخلق

العظيم جل في علاه؟





كيف بدأ الله هذا الخلق العظيم؟

إن هذا السؤال الكبير قد سبق إليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم، كيف لا وهم السباقون إلى كل خير وفضيلة؟! فهم أهل الفضل والعلم والحلم رضي الله عنهم وأرضاهم.

فقد أخرج البخاري في «صحيحه» من طريق أبي حمزة، عن الأعمش، عن جامع بن شدّاد، عن صفوان بن محرز، عن عمران بن حصين قال: إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم، فقال: «اقلبوا البشرى يا بني تميم». قالوا: بشّرنا فأعطينا، فدخل ناس من أهل اليمن، فقال: «اقلبوا البشرى يا أهل اليمن؛ إذ لم يقبلها بنو تميم». قالوا: قبلنا، جئناك لتتفق في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان، قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء».

وأخرج مسلم والترمذي والبيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء».

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وغيرهما من طريق يزيد بن هارون



عن حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حديد عن عمه أبي رزين قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواءٌ وخلق عرشه على الماء». قال أحمد بن منيع أحد رواة هذا الخبر: قال يزيد بن هارون: العماء؛ أي: ليس معه شيء.

فَجَلَّ اللهُ في قدرته وتبارك وتعالى في أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى عما يقول المشركون والمرجفون والمعتلون والمشبهون والمؤولون التأويل الباطل جل الله في علاه، بل ثبتت أسمائه وصفاته إثباتاً بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل على حد قوله تبارك تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فكل ما خطر ببالك فالله تعالى ليس كذلك.

فهذه الأحاديث بينت لنا كيف بدأ الله تبارك وتعالى هذا الخلق العظيم الدال على عظمة خالقه وموجده من العدم ذلك هو الله رب العالمين، وقد أمرنا الله تبارك وتعالى أن ننظر ونسأل عن هذا الخلق العظيم كيف خلق وكيف أنشأه الله جل وعلا وكيف أوجده من العدم، فقال جل وعلا: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا



نَصِيرِ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايِدَةِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَيسُوْا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ [العنكبوت: ١٩-٢٣].

فإن قال قائل في كم يوم خلق الله تعالى هذا الخلق كله؟

فيحمد الله جل وعلا فقد جاء الجواب على هذا السؤال الكبير في

كتاب الله جل وعلا وفي السنة الصحيحة عن النبي ﷺ.

فقال تعالى: ﴿قُلْ أَيَّتُكُمُ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَى مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْوَاجَ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُحَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَفَضَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ٩-١٢].

وقال تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النازعات: ٢٧-٣٢].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رُوسَى أَنْ تَعْبُدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠-٣٢].



وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

وأما من السنة: فقد جاءت أخبار وآثار تبين أن الله تعالى خلق الأرض في يومي الأحد والإثنين، ثم خلق السماء في أربعة أيام وهي أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة.

والراجح أن خلق الأرض كان قبل خلق السماء.

وأما قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] فالراجح أن المعنى أنه خلقها أولاً ثم خلق السماء بعدها ثم عاد إليها فدحاها، والدحي: هو إخراج ما فيها من المنافع كما قال سبحانه: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [٣١] وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا [٣٢] كما قال ابن جرير الطبري، وتبعه على ذلك ابن كثير فقال: «﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٩] الآيات. ففي هذا دلالة على أنه تعالى ابتداءً بخلق الأرض أولاً ثم خلق السموات سبغاً، وهذا شأن البناء أن يبدأ بعمارة أسفله ثم أعاليه بعد ذلك وقد صرح المفسرون بذلك». اهـ. والله أعلم.

فإن قال قائل: فمتى خلق الله تعالى الجن والإنس؟

فقد جاء الجواب على هذا السؤال في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة، أما عن خلق الجن فقد قال تعالى: ﴿وَلَجَّانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ



نَارِ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ [الحجر: ٢٧]؛ فبين الله تعالى أن خلق الجن كان متقدماً على خلق الإنسان.

وقد أخرج مسلم في «صحيحه» من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

فبين أن خلق آدم كان في يوم الجمعة وهو آخر الأيام التي خلق الله تعالى فيها الخلائق، وإنما سمي بيوم الجمعة لاجتماع الخلق فيه، والسبب لانقطاع الخلق وانتهاء الرب تبارك وتعالى منه. وعليه فأنت أيها الإنسان من آخر مخلوقات الله تبارك وتعالى، وقد جاء في بعض الآثار أن الله خلق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة^(١).

(١) أخرج مالك في «الموطأ»: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ إِلَى الطُّورِ فَلَقِيتُ كَعْبَ الْأَجْبَارِ فَجَلَسْتُ مَعَهُ، فَحَدَّثَنِي عَنِ التَّوْرَةِ، وَحَدَّثَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَانَ فِيْمَا حَدَّثَنِي، أَنْ قُلْتُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْطَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَفِيهِ تَبَّ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُصَيَّحَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، مِنْ حِينَ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ. إِلَّا الْجَنَّ وَالْإِنْسَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» قَالَ كَعْبٌ: ذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ فَقُلْتُ: بَلْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فَقَرَأَ كَعْبٌ التَّوْرَةَ فَقَالَ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَلَقِيتُ بَصْرَةَ بْنِ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ فَقُلْتُ: مِنْ



وما تقدم وبالنظر في أقوال أهل العلم يمكننا أن نقول: إن أول ما خلق الله تعالى هو الماء العظيم والعرش العظيم وظاهر قوله ﷺ: «وكان عرشه على الماء» أن الماء خُلِقَ قبل العرش، ثم أخرج الله تعالى من الماء دخاناً: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] فاستوى سبحانه إلى السماء وسما عليه؛ أي: ارتفع عليه جل وعلا كما قال ابن مسعود رضي الله عنه وناس من الصحابة والربيع بن أنس على ما نقله ابن جرير في تفسيره؛ أو بمعنى

= الطُّورِ فَقَالَ: لَوْ أَدْرَكْتُكَ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ، مَا خَرَجْتُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَعْمَلُ الْمَطْيِ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِلَى مَسْجِدِي هَذَا، وَإِلَى مَسْجِدِ إِبِلِيَاءَ - أَوْ - بَيْتِ الْمَقْدِسِ» يَشْكُ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: ثُمَّ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ، فَحَدَّثَنِي بِمَجْلِسِي مَعَ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، وَمَا حَدَّثَنِي بِهِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقُلْتُ: قَالَ كَعْبٌ ذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: كَذَبَ كَعْبٌ، فَقُلْتُ: ثُمَّ قرَأَ كَعْبُ التَّوْرَةَ، فَقَالَ: بَلْ هِيَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: صَدَقَ كَعْبٌ، ثُمَّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: قَدْ عَلِمْتُ أَيَّةَ سَاعَةٍ هِيَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَخْبِرْنِي بِهَا وَلَا تَصْنَعْ عَلَيَّ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ وَكَيْفَ تَكُونُ آخِرُ سَاعَةٍ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي» وَتِلْكَ السَّاعَةُ سَاعَةٌ لَا يُصَلِّي فِيهَا. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ حَتَّى يُصَلِّيَ؟» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَهُوَ ذَلِكَ. قلت: وأخرجه النسائي في «المجتبى» فهو صحيح عنده وأخرجه ابن حبان في صحيحه.



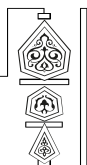
قصد كما قال ذلك ابن كثير في تفسيره حيث قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩] أي: قصد إلى السماء. والاستواء هاهنا متضمن معنى القصد والإقبال لأنه عدي بـ(إلى) ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ أي فخلق السماء سبعاً. اهـ.

ثم أَيْسَسَ الماء فجعل منه الأرض، ثم خلق من الدخان السموات السبع وبث فيها ما شاء من المخلوقات كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

والقلم واللوحة المحفوظ من أوائل ما خلقه الله تبارك وتعالى، فأمر القلم أن يكتب كل ما هو كائن إلى قيام الساعة، وخلق الملائكة والجان قبل الإنسان، ثم خلق الإنسان فكان من آخر مخلوقات الله تبارك وتعالى. فإن قال قائل: فما هي علاقة الإنسان بهذه المخلوقات كلها وما هي وظيفته في هذا الكون الكبير؟

فالجواب، على هذا السؤال الكبير الذي هو أعظم ما عُيِّنَتْ بمعرفته أيها الإنسان ستجده إن شاء الله واضحاً جلياً فيما يلي من النقاط.

فأقول وبالله التوفيق:



أولاً:

عرض الأمانة الكبرى

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

لما فرغ الله تعالى من خلق ما شاء - أمر من شاء تبارك وتعالى بحمل هذه الأمانة العظيمة.

فعرضها على السموات، هذا المخلوق العظيم الفسيح الكبير الذي فيه من المخلوقات ما الله تعالى به عليم.

ولتعرف طرفاً من هذه العظمة أسوق لك أخي القارئ الكريم حديثاً أخرجه الإمام أبو داود في «سننه» بسند صحيح من طريق إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ



مَا بَيْنَ شَحْمَةٍ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ».

فهذا ملك واحد من حملة العرش في هذه السموات العظيمة ناهيك عن الملائكة الكثر الذين في هذه السموات العظيمة.

فقد أخرج البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث الإسراء الطويل في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة: قال النبي ﷺ: «إِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخَرُ مَا عَلَيْهِمْ».

ومع هذا كله أَبَتْ هذه السموات العظيمة أن تحملها إشفاقاً وإجلالاً وخوفاً من الله تبارك وتعالى.

ثم عرضها الله جل وعلا على الجبال هذه الشم الراسيات التي يقف الواحد منا في قاعها كأنه نملة في قاع جبل عظيم، فأبت الجبال أن تحمل هذه الأمانة إشفاقاً من الله جل وعلا وخوفاً ووجلاً من الجبار جل جلاله.

فعرض الله الأمانة على هذه الأرض الفسيحة الكبيرة فأبت هي الأخرى أن تحمل هذه الأمانة العظيمة إشفاقاً وفرقاً من الكبير المتعال الملك العظيم الجبار.

ولكن الكل بَقُوا طَوْعاً أَمَرَ الله تبارك وتعالى.

فعرض الله هذه الأمانة على الإنسان في شخص آدم عليه الصلاة



والسلام؛ إذ هو أبونا نحن بني آدم فقبلها وحملها وذلك قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ﴿٧٢﴾ فصار الإنسان من تلك اللحظات الحاسمة حاملاً لأمانة جبار السموات والأرض.

وقد جاء عن غير واحد من المفسرين كابن عباس وعمر بن العاص والحسن ومجاهد وغيرهم حتى قال النحاس: وهذا القول هو الذي عليه أهل التفسير: «أن الله تعالى قال لآدم: يا آدم إني عرضت الأمانة على السموات والأرض فلم تطيقها فهل أنت حاملها بما فيها؟ فقال: وما فيها يارب؟ قال: إن حملتها أُجِرت وإن ضيعتها عُدِّبت فاحتملها بما فيها فلم يلبث في الجنة إلا قدر ما بين صلاة الأولى إلى العصر حتى أخرجه الشيطان منها».

وروى معمر عن الحسن: «أن الأمانة عرضت على السموات والأرض والجبال، قالت: وما فيها؟ قيل لها: إن أحسنت جُوزيت وإن أسأت عوقبت. فقالت لا. قال مجاهد: فلما خلق الله تعالى آدم عرضها عليه، قال: وما هي؟ قال: إن أحسنت أجرتك وإن أسأت عذبتك. قال: فقد تحمّلتها يا رب. قال مجاهد: فما كان بين أن تحمّلها إلى أن أُخرج من الجنة إلا قدر ما بين الظهر والعصر.





ثانيًا:

حقيقة الأمانة

هكذا إذن حملنا أمانة أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها.

ولكن ما هي هذه الأمانة التي حملناها بين يدي الله ﷻ؟

لقد اختلفت أقوال المفسرين في بيان حقيقة هذه الأمانة، ولكن هذا الاختلاف كان اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، ولا تعارض وتضارب فالأقوال كلها يصدق بعضها بعضًا.

وإليك طرفاً مما قاله السلف عن حقيقة هذه الأمانة الكبرى.

قال ابن عباس: «الأمانة هي الفرائض التي ائتمن الله عليها العباد».

وقد اختلف في تفاصيل بعضها على أقوال:

فقال ابن مسعود: «هي في أمانات الأموال كالودائع وغيرها».

وروي عنه أنها في كل الفرائض، وأشدّها أمانة المال.

وقال أبي بن كعب: «من الأمانة أن أوّمت المرأة على فرجها».

وقال أبو الدرداء: «غسل الجنابة أمانة، وإن الله تعالى لم يأمن ابن آدم

على شيء من دينه غيرها».



وقيل: «الأمانة الصلاة إن شئت قُلْتُ: قد صَلَّيْتُ، وإن شئت قلت: لم أُصَلِّ».

وكذلك قيل في الصيام وغسل الجنابة.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: «أول ما خلق الله تعالى من الإنسان فرجه وقال: هذه أمانة استودعتكها، فلا تلبسها إلا بحق؛ فإن حفظتها حفظتك فالفرج أمانة، والأذن أمانة، والعين أمانة، واللسان أمانة، والبطن أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة، ولا إيمان لمن لا أمانة له».

وقال السدي: «هي ائتمان آدم ابنه قابيل على ولده وأهله، وخيائنه إياه في قتل أخيه».

وروى علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] قال: «الأمانة الفرائض، عرضها الله ﷻ على السموات والأرض والجبال، إن أدوها أثابهم، وإن ضيعوها عذبهم. فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيماً لدين الله ﷻ ألا يقوموا به. ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها.

وقيل: لما حضرت آدم ﷺ الوفاة أُمِرَ أَنْ يَعْرِضَ الأمانة على الخلق،



فعرضها فلم يقبلها إلا بنوه».

وقيل: هذه الأمانة هي ما أودعه الله تعالى في السموات والأرض والجبال والخلق، من الدلائل على ربوبيته أن يظهرها فأظهروها، إلا الإنسان فإنه كتمها وجحدها.

وما تقدم يتبين لنا أن هذه الأقوال آخيتها ومرجعها إلى معنى جامع عظيم ألا وهو أن الأمانة تعم جميع وظائف الدين، وهي العبودية الحقّة لله رب العالمين وهو قول الجمهور.

وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴿[الذاريات: ٥٦-٥٨].

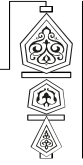
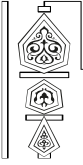
وفي وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦) ﴿[القيامة: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿ (١٨) ﴿[الأنبياء: ١٦-١٨].



وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].





ثالثاً:

مُقَوِّمَاتُ حَمْلِ الْأَمَانَةِ الْكُبْرَى

لقد اقتضت حكمة الله تعالى ورحمته أن يعين الحامل لهذه الأمانة، وأن يخوله من المقومات ما يتمكن معها من حمل هذه الأمانة العظيمة لو أراد ذلك الإنسان حملها على حد قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ سَتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] أي: خلقتنا يا رب لعبادتك وحمل أمانتك فأعنا بفضلك ومنك وكرمك فإننا لا غنى بنا عن رحمتك ومعونتك، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أدنى من ذلك، وأسوق لك أخي القارئ الكريم بعضاً من هذه المقومات التي جعلها الله تعالى عوناً لعباده فضلاً منه وكرماً وإحساناً على حمل أمانة أشفقت السموات والأرض والجبال عن حملها:

○ أحدها: التسخير العام

لما حمل آدم عليه الصلاة والسلام هذه الأمانة الكبرى سخر الله تبارك وتعالى له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه فضلاً وكرماً وإحساناً، لكي يكون في ذلك عون من الله جل وعلا له على حمل هذه الأمانة وتذكير له



بها كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ أَلْفُكُم فِيهِ يَأْمُرُهُ وَلِيَنْبَعُثُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجن: ١٢، ١٣].

فكل ما في السماء والأرض مسخر لك أيها الإنسان من أكبر المخلوقات إلى أصغرها، فهاهي الملائكة العظام حملة العرش قد سخرهم الله لك أيها الإنسان يستغفرون للذين آمنوا بالله كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر: ٧-٩].

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قال: «قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: وجدنا أنصح عباد الله لعباده الملائكة ﷺ، ووجدنا أغش عباد الله لعباده الشياطين».

ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُ، مُعَقَّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ، مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].



قال ابن كثير في تفسيره: «أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل، وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحوادث، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فائنان عن اليمين والشمال، يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه وآخر من قدمه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلاً، حافظان وكاتبان، كما جاء في الصحيح: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار...» الحديث، وفي الحديث الآخر: «إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرمواهم».

وقال ابن عباس: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلّوا عنه، وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريد به إلا قال له الملك: وراءك، إلا شيء أذن الله فيه فيصبيه.

وقال الإمام أحمد رحمه الله، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة» قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: «وإياي، ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا



بخير] [رواه مسلم وأحمد عن عبد الله بن مسعود].

وقوله: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قيل: المراد حفظهم له من أمر الله. قاله ابن عباس، وإليه ذهب مجاهد وسعيد بن جبير، وقال قتادة: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ يحفظونه بأمر الله، وقال كعب الأحبار: لو تجلى لابن آدم كل سهل وكل حزن لرأى كل شيء من ذلك شيئاً يقيه، ولولا أن الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذن لتُخطفتم، قال أبو أمامة: ما من آدمي إلا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلمه للذي قدر له.

وقال أبو مجلز: جاء رجل إلى علي عليه السلام وهو يصلي، فقال: احترس، فإن ناساً يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر له، فإذا جاء القدر خلياً بينه وبينه، إن الأجل جنة حصينة. اهـ.

وأما الأحاديث في بيان تسخير الملائكة الكرام لبني آدم فكثيرة جداً نذكر منها ما في «الصحيحين» من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح، وفي صلاة العصر، فيعرج بالذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم - وهو أعلم بكم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون».

قال ابن كثير: «وقال عبد الله بن مسعود: يجتمع الحرسان في صلاة الفجر فيصعد هؤلاء ويقوم هؤلاء».



ومن ذلك تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والبحار والأنهار
والشجر والدواب والجبال والروابي والتلال قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ﴿٦٢﴾ [الفرقان:
٦٢].

وقوله تعالى: ﴿ءَأَنۡتُمۡ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا
فَسَوَّيَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ
مِنَهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَهَا ﴿٣٢﴾ مِّنۡعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَمَ لَكُمۡ ﴿٣٣﴾
[النازعات: ٢٧-٣٣].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ
أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّيْنَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾
[البقرة: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَالأَنعَمَ خَلَقَهَا لَكُمۡ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنۡفَعٌ
وَمِنۡهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٥﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ
تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمۡ تَكُونُوا بَلَغِيهِ إِلَّا بَشِقَىٰ
الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ
لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ
وَمِنۡهَا جِبَارٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمۡ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٌ وَمِنۡهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۡبِتُ



لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ
الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا
وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ [النحل: ٥-١٤].

بل وكذلك ما هو من أصغر المخلوقات هو الآخر مسخر لك أيها
الإنسان؛ فهذه هي النحلة قد وصف الله تسخيرها لبني آدم في كتابه
حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِهَا فِي بَطُونِهِ مِنْ بَيْنِ
فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ ﴿١١﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ
تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَأَوْحَى
رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنْ لِبَاسٍ يَبُوتَا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ
كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ
فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٤﴾ [النحل: ٦٦-٦٩].

قال القرطبي نقلًا عن العلماء: فهذه الأشياء كلها مسخرة للإنسان
قَطْعًا لِعُذْرِهِ وَحُجَّةً عَلَيْهِ، ليكون له عبدًا كما خلقه عبدًا.



قال ابن جرير رحمه الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] فأخبرهم جل ذكره أنه خلق لهم ما في الأرض جميعًا؛ لأن الأرض وجميع ما فيها لبني آدم منافع.

أما في الدين فدليل على وحدانية ربهم، وأما في الدنيا فمعاش وبلاغ لهم إلى طاعته وأداء فرائضه؛ فلذلك قال جل ذكره: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ اهـ.

إذن؛ أنت أيها الإنسان عبد حَمَلَ الأمانة الكبرى؛ فسخر له ما في السموات وما في الأرض ليقوم بهذا الشرف العظيم بين يدي الله العظيم.

○ ثانيها: إرسال الرسل وإنزال الكتب

لقد أخذ الله تعالى العهد والميثاق على بني آدم بحمل هذه الأمانة والقيام بها على ما ينبغي كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [١٧٣] أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [١٧٤] وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٤].



ولطول الأمد بهذا العهد والميثاق ولئلا يحتج أحد بنسيانه كان من رحمة الله تعالى بحامل هذه الأمانة أن أرسل إليه مَنْ يُذَكِّرُهُ بها وَيُبَيِّنُ له تفاصيلها، فاصطفى الله تعالى لهذه المهمة العظيمة الجليلة أفضل خلقه وأشرفهم وأطهرهم على الإطلاق ألا وهم الأنبياء والمرسلون عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، وجعلهم من أرحم العباد، بالعباد، ومن أحرص العباد على هداية العباد ومن أفضلهم علماً وعملاً وخُلُقاً وخُلُقاً، ومن أحسنهم شرفاً ونسباً، فوصفهم الله تعالى بأجمل الأوصاف التي تكون في البشر كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانَا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٠) [النحل: ١٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ [ص: ٤٥-٤٨].

وغير ذلك كثير كثير مما يمتدح الله تعالى فيه أنبياءه ورسله بما جعل



فيهم من الخصال الحميدة العظيمة، فهم القدوة في كل خير، والأسوة في كل عمل صالح عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ولم يكتف الله تعالى بذلك فحسب؛ بل أنزل كتباً كثيرة، كتَبَ فيها لعباده ما يكون كفيلاً بتذكيرهم بهذه الأمانة الكبرى، وما يكون دليلاً لهم على ما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه ويأباه، ليسيّر العباد إلى ربهم على هدى وبصيرة كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَعْلِيلِينَ﴾ [١٠٤] وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤-١٠٦].

وقوله تعالى عن موسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِحَسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [١٤٥] سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيِلَ الرَّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَيِلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥-١٤٦].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ



وَتَقْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً لَّعَالَمٍ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كُنْدُبٌ أَنْزَلْنَاهُ مِيبَارِكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٤-١٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ، مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ نَصِيرُ الْأُمُورِ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]؛ فذلك من عظيم فضل الله على عباده فله الحمد والفضل والمنة.

○ ثالثها: فتح باب التوبة

إن من رحمة الله تعالى بعباده: أنه لما سلط عليهم أعداءهم فتح لهم باب التوبة والأوبة إليه سبحانه، ووعدهم بمغفرة الذنوب والتجاوز عن الزلات حتى يعود الواحد منهم بعد الذنب أفضل منه حالاً قبل الذنب، لما أحدثته التوبة من الانكسار والندم والخوف العظيم من الله جل وعلا الذي يورث القلب حياة وسعاده يجد العبد من جرأته حلاوة لا تعدلها كنوز الدنيا ولو كثرت.

بل ودعاهم جل وعلا إلى التوبة وحثهم على الاستغفار ورغبتهم فيما عنده من المغفرة للذنوب والرحمة بعد ذلك، بل وأمرهم ألا يقنطوا من رحمته



وَأَلَّا يَتَعَاطَمُوا ذَنْبًا عَلَى التَّوْبَةِ إِنْ هُمْ رَجَعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ وَعَاهَدُوهُ عَلَى
عَدَمِ الْعُودَةِ وَأَظْهَرُوا مِنَ النَّدَمِ مَا يَكُونُ دَلِيلًا لِمَا قَامَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ حَسْرَةٍ وَالْم
الذُّنُوبِ؛ فَوَعَدَهُمْ بِتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَمُضَاعَفَةِ الْحَسَنَاتِ وَرَفَعَ الدَّرَجَاتِ بَلْ
وَتَبْدِيلِ السَّيِّئَاتِ إِلَى حَسَنَاتٍ.

كما قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا
تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾
وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا
تُنصَرُونَ ﴿٥٣﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٤﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ
بَحْسَرْتُ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٥﴾ أَوْ تَقُولَ
لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى
الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٧﴾ بَلَى قَدْ
جَاءَتْكَ ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٨﴾
وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا
يَمَسُّهُمْ أَلْسُوءٌ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٥٣-٦١].

كما أَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَى الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ رَبَّهُمْ وَأَمَانَاتِهِمْ فَيَرْجِعُونَ عَنْ غِيهِمْ
وَيُرَدُّونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَعْدَائَهُمْ فَيَفِيقُونَ مِنْ غَفْلَتِهِمْ وَيَتَّبِعُونَ مِنْ رَقَدَتِهِمْ



فِيَسْتَغْفِرُونَ رَبَّهُمْ فَإِذَا هُمْ مَبْصُرُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (٢٠٢) [الأعراف: ٢٠١، ٢٠٢].

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٨) [النساء: ١٧، ١٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُبْصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَعْمَلُونَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَبْغُونَ فِيهَا عُثُورًا﴾ (١٣٦) [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].



فأخبرهم جل وعلا أنه لا يتعاضمه ذنب ألا يغفره إذا تاب العبد إليه منه توبة نصوحًا، وبين لهم أن باب التوبة مفتوح على مصراعيه حتى تغرغر الروح في الحلقوم، وحتى تطلع الشمس من مغربها، وحتى يظهر الدجال وينزل عيسى بن مريم وتظهر الدابة^(٢) كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَيْدِي رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وأخبر جل وعلا أنه ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا إذا بقي ثلث الليل كما جاء ذلك في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ

(٢) كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِمِغْلَةٍ ثُمَّ يُتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١٧) وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُنْتُ أَنفَن وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ [النساء: ١٧، ١٨]، وفي «الصحيحين» واللفظ لمسلم عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا»، وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَالُ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ».



الآخر فيقول: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟! مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟!.

وفي رواية لمسلم: «يَنْزِلُ اللَّهُ ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ فيقول: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟! مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟! مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيَءَ الْفَجْرُ». وفي رواية: «إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلَاثُهُ».

وعَنْ أَبِي مُوسَى عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيئُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيئُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

فكان في ذلك أكبر العون على تدارك الأمر قبل فوات الأوان والاستعتاب في زمن المهلة؛ فيعودون إلى حمل الأمانة التي غرهم أعداؤهم بتركها برهة من الزمان فتداركهم الله برحمته ومغفرته فعادوا إلى السراط المستقيم، واستمسكوا بالهدي القويم، فله وحده الحمد والفضل والمنة.



○ رابعها: التجاوز عن الخطأ والنسيان وما استكرهنا عليه وما حدثت به نفوسنا

كذلك من رحمته جل وعلا بعباده أن تجاوز عن زلاتهم التي يقعون فيها عن غير قصد منهم مهما تعاظمت إن كان ذلك من جراء خطأ أو جهل معتبر أو نسيان أو أن يكونوا مكرهين على ذلك كما قال جل وعلا: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الله جل وعلا «قد فعلت» كما جاء ذلك مصرحاً به في «صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى» من حديث ابن عباس قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قَالَ: دَخَلَ قُلُوبُهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا» قَالَ: فَأَلْقَى اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ «قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا



حَمَلَتْهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴿ قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ» ﴾ وَأَغْفِرَ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا ﴿ قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ».

وقد قال الله تعالى عاذراً عباده حال الإكراه: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النحل: ١٠٦).

وأخرج مسلم في «صحيحه» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لَأَمْتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ».

فكان هذا عوناً كبيراً على حمل الأمانة حتى تخف التبعات وتقل التكاليف عدلاً منه وفضلاً وإحساناً منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى عِبَادِهِ، إذ بين لهم أنه لن يكلفهم ما لا يطيقون، ولن يؤاخذهم بما لم يتعمدوه، ولا بما حدثتهم به أنفسهم من الغي والضلال ما لم يَبْلُغْ بِهِمْ حَدَّ الْعَزِيمَةِ الْجَازِمَةِ عَلَى الْفِعْلِ، فله الحمد والفضل والمنة.

○ خامسها: مراكب الخلاص

لما كان في العباد من الظلم والجهل ما يكون سبباً للوقوع في كثير من الخصال الذميمة التي يكون فيها هلاك الإنسان وعطبه كالكبر والحسد والرياء والسمعة والعجب والإدلاء والمن وغير ذلك من أمراض



القلوب المردية والعياذ بالله منها، اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى ورحمته بعباده أن جعل لهم مراكب للنجاة ومخارج للخلاص يركبونها ويسلكونها؛ فيكون في ذلك خلاصهم ونجاتهم بإذن الله تعالى من موارد الهلاك ومسالك الردى، ومعونة عظيمة لهم على تحمُّل الأمانة الكبرى، والعمل بمقتضاها، ونحن نذكر أهم هذه المراكب وبالله التوفيق والسداد:





المركب الأول: الإخلاص والمتابعة

الإخلاص هو مركب الخلاص، ولا إخلاص إلا بمتابعة الرسول ﷺ ولهذا قال تعالى: ﴿لَا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [ص: ٤٠].
وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].
وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

فعلمنا من هذا يقيناً أن من أراد الخلاص وحمل الأمانة بحق؛ فعليه بإخلاص جميع أعماله لله الواحد القهار، وأن يفعل ذلك على وفق هدي النبي ﷺ؛ فإن الله لا يقبل العمل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص هو ما ابتغي به وجه الله وحده، والصواب هو ما كان على سنة النبي ﷺ.

ولهذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى في «نونية»:

وعبادة الرحمن غاية حبه

مع ذل عابده هما قطبان



وعليهما فَلَكَ العِبَادَةُ دَائِرٌ
مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ

ومداره بالأمر أمر رسوله
لا بالهوى والنفس والشيطان

والله لا يَرْضَى بِكَثْرَةِ فَعْلَانَا
لَكُنْ بِأَخْلَاصِهِ مَعَ الْإِيمَانِ
فَالْعَارِفُونَ مُرَادَهُمْ إِحْسَانُهُ

وَالجَاهِلُونَ عَمُوا عَنِ الْإِحْسَانِ

قال أحد السلف: عبد الله، هوّن عليك ولا تُتعب نفسك، فإن الله
لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً صواباً، فعليك من العمل ما
أخلصت فيه وتابعت فيه سيد المرسلين وما عدا ذلك فهباء منثور.

قال ابن عباس رضي الله عنه: «عمل قليل في سبيل وسنة خير من عمل كثير
في غير سبيل ولا سنة».

فكل عبادة قولية أو فعلية أو اعتقادية لن يتنفع بها صاحبها إلا إذا
تحقق فيها شرطان.

الأول: الإخلاص لله وحده لا شريك له فيها.



ثانيًا: اتباع السنة الصحيحة عن المعصوم عليه الصلاة والسلام؛

فالضعيف ظن لا يجوز اتباعه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا

يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨].

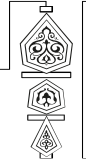
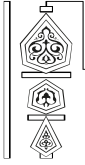
قال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

قال الفضيل بن عياض: «أي: أخلصه وأصوبه».

وعليه فتذكر دائمًا هذه المقولة: «المتابعة والإخلاص هما مركب

الخلاص».





المركب الثاني: إقامة الفرائض

إن في إقامة الفرائض وأدائها على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه أكبر عون على حمل هذه الأمانة والصبر عليها، بل والتلذذ بحملها كما قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥، ٤٦). الَّذِينَ يُطِئُونَ أَمْرَهُمْ مُلقُوا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾. وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعِيقَابُ لِلنَّاقِثِينَ﴾ (طه: ١٣٢).

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣).

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي أَلْتَهَارِ وَرُلُقَا مِّنَ أَلِيلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسَيَّاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكْرَيْنِ﴾ (هود: ١١٤).

كيف لا وهي عمود هذا الدين وركنه الركين الذي لا عماد لدين العبد بدونه، وهي الصلة بين العبد وربّه جل وعلا؛ فمن أحسن الصلة بربه رأى كل خير، ومن أساء الصلة بربه أو قطعها رأى كل شر والعياذ بالله من ذلك.



ومصدق ذلك: ما أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» حيث قال: حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم قال: سمعت عروة بن الزوال يحدث عن معاذ بن جبل قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك فلما رأيته خليًا قلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال: «بخ! لقد سألت عن عظيم وهو يسير على من يسره الله عليه: تقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتلقى الله ^{بالحسن} لا تشرك به شيئًا أولًا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه، أما رأس الأمر فالإسلام فمن أسلم سلم، وأما عموده فالصلاة، وأما ذروة سنامه فالجهاد في سبيل الله، أولًا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة وقيام العبد في جوف الليل يكفر الخطايا» وتلا هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦] «أولًا أدلك على أملك ذلك لك كله» قال: فأقبل نفر قال: فخشيت أن يشغلوا عني رسول الله ﷺ قال شعبة أو كلمة نحوها قال: فقلت: يا رسول الله قولك أولًا أدلك على أملك ذلك لك كله قال: فأشار رسول الله ﷺ بيده إلى لسانه قال: قلت: يا رسول الله، وإنا لنؤاخذ بما نتكلم به قال: «ثكلتك أمك معاذ، وهل يكب الناس على مناخريهم إلا حصائدُ ألسنتهم». قلت: رواه أحمد في «مسنده» والترمذي في «سننه» من طريق معمر عن عاصم بن أبي النجود



عن أبي وائل عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال أبو عيسى الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

ولهذا قال النبي ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ». أخرجه الترمذي وصححه من طريق الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه به.

وقال عليه الصلاة والسلام: «يُنَ الْرَجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» أخرجه مسلم من طريق ابن جريج، قال: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول فذكر الحديث.

فالأمر خطير جداً ؛ ولهذا أجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على كفر تارك الصلاة، وقد نقل إجماعهم غير واحد من المحققين من السلف الصالحين، كالترمذي في «سننه» والحميدي وإسحاق بن راهويه وابن حزم وابن القيم على الجميع رحمة الله تعالى.

وَيَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّنا لِنَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا افْتَرَضَهُ عَلَيْنَا، كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتْهُ



وَلَكِنَّ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ
الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

فمن أراد العون من الله تعالى فعليه بالعناية بهذه الفرائض
والمحافظة عليها من صلاة وصيام وزكاة وحج؛ فإن فيها أكبر العون بإذن
الله تعالى على حمل هذه الأمانة الكبرى التي أشفقت السموات والأرض
والجبال أن يحملنها.





المركب الثالث:

الدعاء

وهذا من أعظم الأسلحة الفتاكة التي يستعملها العبد للقضاء على أعداء هذه الأمانة، فيفزع إلى الله جل وعلا فيناجيه ويتذلل إليه ويتضرع وينكسر بين يديه ويلج عليه في الدعاء بأن يعينه على ما أمره به، وأن يدحر أعداءه وأن يوفقه ويسدد خطاه، وهذا فيه من إظهار الفقر والذل والفاقة والحاجة إلى الله تعالى ما الله تعالى به عليم؛ فإذا كان الأمر كذلك علمنا قطعاً أن في فتح الله لعباده باب الدعاء وأمرهم به وبيان أنه يحبه، وأنه من أجل أنواع العبادة، ما يكون من أعظم الأسباب على إعانتهم وتوفيقهم وإلهامهم وتثبيتهم لحمل هذه الأمانة العظيمة.

بل ووعدهم جل وعلا باستجابة دعائهم إذا دعوه بقلب مُقْبِلٍ غير غافل ولا لاهٍ، وأمرهم بترك ما يكون عَقَبَةً أمام استجابة الدعاء من أكل الحرام^(٣) وقطيعة الأرحام والاعتداء في الدعاء واستعجال الإجابة واتباع

(٣) كما في «صحيح مسلم» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿بِأَيِّهَا



سبيل المفسدين والذين لا يعلمون والإشراك به تعالى فقال ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال سبحانه: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

وقد كان النبي ﷺ يكثر الدعاء ويلج على الله تعالى به بالثبات على الأمر والعزيمة على الرشد؛ فكان كثيرًا ما يقول في دعائه اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، كما روى ذلك الترمذي من طريق الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال، قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك» رواه مسلم.

= أَرْسَلْ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ».



وقد صَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «الدعاء هو العبادة» أخرجه الترمذي وصححه، وقد هَدَّدَ الله تبارك وتعالى المعرضين والمستكبرين عن دعائه ومَسْأَلَتِهِ فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] وبين عليه الصلاة والسلام أفضل أوقات الدعاء وأخرى أوقات الإجابة والأحاديث في ذلك متكاثرة جداً^(٤).

كما أن الله تعالى بين لنا وكذلك رسوله عليه الصلاة والسلام أنواعاً من الأدعية العظيمة التي ينبغي أن نسأل الله بها فله الحمد على فضله، وإحسانه إلى عباده فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد بإذن الله جل وعلا. فعلينا أن نتعلَّمَهَا وأنْ نسأل الله تعالى بها، فنَحْنُ الْمُحْتَاجُونَ

(٤) فمنها في السجود، ومنها في الثلث الأخير من الليل، ومنها بين الأذان والإقامة، ومنها بعد التشهد الأخير وبعد التَّعَوُّذ من أربع يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ثم يدعو قبل السلام، ومنها إذا استيقظ من الليل فجأة فذكر الله بالذكر الوارد ودعا، كما في «صحيح البخاري» عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا اسْتَجِيبَ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قَبِلَتْ صَلَاتُهُ».



إليه ﷻ من كل وَجْهٍ وبكل حال، وهو الغني الحميد جل الله في علاه.
قال تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ^(١٣) إِنْ
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ
يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ^(١٤) ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ
الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ^(١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ
بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ^(١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ^(١٧)﴾ [فاطر: ١٣ - ١٧].

فمن أعظم شعارِ المؤخِّدين الصادقين، كثرة دعائهم وإلحاحهم
واضطرابهم إلى الحي القيوم رب العالمين جل الله في علاه، وذلك في
مقابلة المشركين الذين فَرِغَتْ قلوبهم إلى غير الله تعالى رَغْبَةً وَرَهْبَةً عِيَاذًا
بالله من الشرك الأكبر والذنب الذي لا يغفر.

وكما أن المشركين إذا ذُكِرَ الله وحده اشْمَازَتْ قُلُوبُهُمْ، وإذا دعي الله
وحده كفروا، فعلى المؤمنين أن يكونوا مستبشرين بتوحيدهم لله تعالى في
دعائهم وذكرهم وعبادتهم، وعليهم أن يكثرُوا من ذلك سعيًا في محابِّ
الله تعالى ومَرْضَاهِ جل الله في علاه، إِرْضَاءً لله تعالى وإِعَاظَةً لأعدائه من
المشركين والكافرين والمنافقين.

قال تعالى عن المشركين: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ



مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ [غافر: ١٣].
وقال جلا في علاه: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الزمر: ٤٥].

ومن الشعر الحكيم قول القائل:

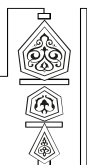
لا تسألن بني آدم حاجة

وسل الذي أبوابه لا تحجبُ

الله يغضب إن تركت سؤاله

وبني آدم حين يسأل يغضبُ





المركب الرابع:

الأذكار

إن الأخطار تَحْتَوِشُ الإنسان من هنا وهناك، من شر الأشرار وكيد
الفجار أعداء هذه الأمانة العظيمة؛ ولهذا فتح الله تبارك وتعالى لعباده
حصناً حصيناً إذا هم دخلوا فيه تحصنوا من أعدائهم وقلوبهم على
أعقابهم بإذن الله خاسرين لم ينالوا خيراً.

بل وحث الله تعالى عباده على الدخول في هذا الحصن الحصين،
وحذرهم مغبة تركه أو البعد عنه، ألا وهي الأذكار التي علمها الله تبارك
وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وللأمة من بعده، في أوقات متعددة
ومتفرقة كأذكار الصباح والمساء وأذكار الدخول والخروج وأذكار
الركوب والنزول وأذكار النوم والاستيقاظ.

فالأذكار متكاثرة بحمد الله تعالى حتى لا يكاد ينفك العبد في جميع
أحوال حياته من ذكر يذكره، وهذا هو الحصن الحصين الذي أنى للعدو
من اقتحامه أو الدنو منه، كيف لا وقد حفظه جبار السموات والأرض
الكبير المتعال؟! فمن التجأ إليه نجا ومن أعرض عنه غفل وهلك



وغوى.

قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٢)

[البقرة: ١٥٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ [الحشر: ١٨-٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاستَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ (١٣) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ [طه: ١٣، ١٤].

وقال تعالى معرضاً بالتاركين لذكره وشكره: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٦٧) [التوبة: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢٨) [الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَهُ الْمُؤْمِنَةَ نَسِيَةً



الْأُنثَى (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى (٣٠) ﴿ [النجم: ٢٧-٣٠].

ثم بين سبحانه مآل المعرضين وسوء أحوالهم في الدنيا والدار الآخرة؛ حيث إنهم تركوا ذكر الله فتسلط عليهم أعداؤهم فكانت الهلكة والعياذ بالله؛ فقال جل من قائل علياً: ﴿ قَالَ أَهَيْطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا لِنِيبِكُمْ مَتَى هُدَى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٢) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى (١٢٣) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٤) قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَهْلُ النَّارِ فَأَنْتَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَكُنْتُمْ أَشَدُّ نَقِيًّا (١٢٥) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِنَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأُنْفَى (١٢٦) ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧].

روى الإمام أحمد بسنده عن الحارث الأشعري أن نبي الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَأَنَّهُ كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بِهَا فَقَالَ لَهُ عِيسَى ﷺ: إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَأَمَّا أَنْ تَبْلُغَهُنَّ وَإِنَّمَا أَنْ أَبْلُغَهُنَّ؟ فَقَالَ: يَا أَخِي، أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أَعَذَّبَ أَوْ يُخَسَّفَ بِي.

قال: فجمع يحيى بن زكريا بنو إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ



المسجد، فقعده على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن.

أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً؛ فإن مثلكم رجل اشترى عبداً من خالص ماله بـورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده، فأبيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً.

وأمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا وأمركم بالصيام فإن مثلكم رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة فإن مثلكم رجل أسر العبد فشدوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه.

وأمركم بذكر الله كثيراً وإن مثلكم رجل طلبه العدو سراعاً في أثره فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله.

قال: وقال رسول الله ﷺ: «وأنا آمركم بخمس: الله أمرني بهن: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإنه من خرج



من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم»، قالوا: يا رسول الله وإن صام وصلى، فقال: «وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم على ما سمّاهم الله ﷻ المسلمين المؤمنين عباد الله» قال ابن كثير في تفسيره: «هذا حديث حسن».

قلت: وقد رواه ابن خزيمة في «صحيحه»، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

وقد حث النبي ﷺ على الذكر وبين أهميته وخطورة تركه في أحاديث كثيرة.

منها: ما رواه مسلم في «صحيحه» عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقال: «أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة!» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب ألف حسنة؟ قال: «يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة».

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في



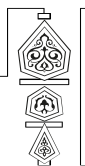
نفسى، وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَبَقَ الْمَفْرَدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمَفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعن عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رجلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ شَرَّاعِ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبُّثُ بِهِ. قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ».

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْحَصْنِ الْحَصِينِ لَا يَفُوتُنْكُمْ فَيَتَسَلَطُ عَلَيْكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ وَمَا أضعفُ الْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَسْتَعْنِ بِرَبِّهِ وَيَلْتَجِئْ إِلَيْهِ فِي دَفْعِ الشُّرُورِ وَقِضَاءِ الْحَاجَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ [النساء: ٢٧، ٢٨].





رابعاً:

حقيقة حمل الأمانة وأبعادها

إن أصدق اسمين ينطبقان على واقع الإنسان في هذه الحياة الدنيا هما
اسما الحارث والهمام، ولقد ورد في ذلك حديث مرفوع إلا أنه مختلف في
صحته، والحديث وإن كان ضعيفاً إلا أن معناه صحيح.

ولا خلاف بين العقلاء في هذه الحقيقة الحتمية؛ فكل الإنسان إما
أنه يعمل أو أنه يفكر أن يعمل، وهذا هو المنقول عن غير واحد من
السلف.

قال المنذري: «وإنما كان حارث وهمام أصدق الأسماء؛ لأن الحارث
الكاسب، والهمام الذي يهيم مرة بعد أخرى، وكل إنسان لا ينفك عن
هذين، والله أعلم». اهـ.

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»: «أصدق الأسماء حارث وهمام؛
لأن كل أحد إما حارث وهو الفاعل أو همام من الهمة وهو العزم
والخاطر». اهـ.

وقال ابن الأثير في «النهاية»: «أصدق الأسماء الحارث؛ لأن الحارث



هُوَ الْكَاسِبُ، وَالْإِنْسَانُ لَا يَحْتَلُو مِنَ الْكَسْبِ طَبْعًا وَاخْتِيَارًا». وقال أيضا: «وَهَمَّامٌ هُوَ فَعَّالٌ، مِنْ هَمَّ بِالْأَمْرِ يَهْمُ، إِذَا عَزَمَ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا كَانَ أَصْدَقَهَا لِأَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَهْمُ بِأَمْرٍ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا». اهـ.

وقال بنحو ذلك ابن المنظور في «لسان العرب».

وروى مسلم في «صحيحه» عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض، والصوم جنة، والصبر ضياء، والصدقة برهان، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها».

فتبين لنا من ذلك أن العباد كما أنهم يشتركون في خصلتي الحرث والهم والتفكير والعمل؛ فإنهم أيضًا يشتركون في أن لكل واحد منهم عملاً محدوداً يقضيه في هذه الحياة الدنيا فالكل يغدو ويروح في مرحلة عمره، ولكن الشأن كل الشأن في ماذا يغدو الإنسان ويروح؟ فمن كان همه وحرثه وفكره وعمله في مرضاة ربه تبارك وتعالى؛ فهذا قد غدا بائعاً نفسه لله جل وعلا وقد رَبِحَ البيع ورب الكعبة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَرِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْرِلُونَ وَيُقَرِّلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ



وَالْقُرْآنَ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي
بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ [التوبة: ١١١].

وأما من غدا وراح في معاصي الله جل وعلا فهذا هو الهالك
والخاسر فقد باع نفسه لعدوه اللدود، واستبدل الذي هو أدنى بالذي هو
خير فبئس العوض وبئس الهم والعمل.

وعليه؛ فليس ثمة إلا هذان الطريقان؛ فمن أصبح من أول يومه
وهمه إرضاء ربه نجا وحصل له كل خير في الدنيا والدار الآخرة، ومن
كانت الدنيا همه شتت الله شمله ومحق بركة عمره وصارت حياته وبالاً
عليه، والعياذ بالله.

كما أخرج ابن ماجة في «سننه» حيث قال: حدثنا محمد بن بشار.
حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا شعبة عن عمر سليمان، قال: سمعت عبد
الرحمن بن أبان بن عثمان بن عثمان بن عفان عن أبيه؛ قال: خرج زيد بن
ثابت من عند مروان، بنصف النهار. قلت: ما بعث إليه، هذه الساعة، إلا
لشيء سأل عنه. فسألته، فقال: سألنا عن أشياء سمعناها من رسول الله
ﷺ يقول: «من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين
عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله له
أمره. وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة».

قلت: وأخرجه أحمد وابن حبان في «صحيحه»، وقال في الزوائد:



«إسناده صحيح، رجاله ثقات». وله شواهد أخرى. والله أعلم.

ولهذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى في «نونية»:

فَلَوْ أَحَدٌ كُنَّ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ

أَغْنِي طَرِيقَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ

أي: اجعل همك واحدًا، وهو طاعة الله ورضاه، ولا تشغل قلبك بل لم شغته وأقبل به على ربك جل وعلا، وليكن ذلك في طريق واحد وهو طريق الحق والإيمان، فله دره ما أعظمه من بيت فعليه رحمة الله تعالى.

ومن هنا نعلم عباد الله أن الله تبارك وتعالى أمرنا بحمل هذه الأمانة وأنها جاءت لتستغرق الحياة كلها على وفق قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] أي: كن في عبادة مستمرة متواصلة بحيث تستغرق عمرك كله، حتى يأتي اليوم الذي تنتقل فيه إلى ربك فيحاسبك على هذه الأمانة، ويجازيك على ما قدمت لنفسك بين يديه سبحانه؛ فاليقين المذكور هنا هو الموت وهو آت لا محالة وكل ما هو آت قريب.

ولهذا أمر الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ أن يبين لعباده حقيقة هذه الأمانة وحدودها، وأنها جاءت لتستغرق العمر كله كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١١٢] لَا شَرِيكَ لَهُ.



وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]؛ أي: أخبرهم يا محمد ﷺ أن الصلاة لون من ألوان العبادة وليست هي العبادة كلها لكيلا يظن ظان أنه إذا أدى الصلوات الخمس في ميقاتها الزماني والمكاني جاز له بعد ذلك أن يقول ما يشاء وأن يفعل ما يشاء، كلا عباد الله بل إن الصلاة والنسك والحياة كلها والمات أيضًا يجب أن يكون لله جل وعلا وحده لا شريك له، وأن نكون في ذلك من المسلمين المستسلمين لأوامره جل وعلا المنقادين له ولشرعه تبارك وتعالى باتباع نبيه ﷺ في كل صغير وكبير من شئوننا العامة والخاصة، وأنه لا مجال لتحقيق العبادة ولا لحمل الأمانة إلا بهذا الأمر العظيم الذي هو يسير على من يسره الله تعالى عليه.

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ ﴿١٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ﴿١٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ﴾ ﴿١٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَجِدُهُمْ مِنْ دُنَا آجَرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿١٦٧﴾ وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ ﴿١٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ



وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٦﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى
بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء: ٦٤-٧٠].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى
وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا﴾ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١١٦﴾ [النساء: ١١٥، ١١٦].

ولهذا قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: «إن استطعت ألا تَحْكُ
رَأْسَكَ إِلَّا بِأَثَرٍ فَأَفْعَلْ».

فما أعظم هذه المقولة التي تدل على ما كان عليه السلف الصالح من
الفهم العميق لدين الله جل وعلا، ولحقيقة هذه الأمانة الكبرى وعظيم
ما كانوا عليه من إحسان الظن برهم تبارك وتعالى فلقد أيقنت نفوسهم
أن الله تعالى ما خلقهم عبثاً ولا تركهم سدى وأنه ما فرط في الكتاب من
شيء تبارك وتعالى، وأنه لا يأمرهم إلا بما فيه الخير المحض لهم، ولا
ينهاهم إلا عما فيه الشر المحض لهم فسلموا لله أمرهم واثقوا له جل
جلاله.

بل وعلموا أنه تبارك وتعالى أَرَأْفُ وأرحم بهم من أمهاتهم اللاتي



وَلَدَنَّهُمْ، بل ومن أنفسهم التي بين جَوَانِحِهِمْ، فأورثهم ذلك حياة في قلوبهم وحبًّا عظيمًا لربهم تبارك وتعالى، فلم يترددوا طَرْفَةً عَيْنٍ في امتثال أوامره واجتناب نواهيه تبارك وتعالى، وعلموا أنه من إحسانه إليهم أن أرسل إليهم أفضل رسله وأنزل إليهم أفضل كتبه فشكروا نعمة ربهم شكرًا عمليًّا واقعيًّا بأن حولوا حياتهم كلها في سبيل مرضيه تعالى.





مقولتان آثمتان خاطئتان وشبهة باطلة جائرة

وبعدما تقدم ذكره وبيانه من أبعاد هذه الأمانة الكبيرة العظيمة التي أشفقت السموات والأرض والجبال من حملها - نجد أن بعض العباد لم يفقهوا بعد هذه الحقيقة الكبرى.

والتأمل لأحوال هؤلاء يرى خللاً واضحاً في فهم هذه المسألة العظيمة؛ فلا تزال تسمع من هنا أو هناك مقولتين آثمتين خاطئتين داليتين على عدم فهم حقيقة الأمانة.

ألا وهما المقولتان المشهورتان الأولى: قولهم: «أنا حر»، الثانية قولهم: «ساعة لربك وساعة لقلبك».

كلا عباد الله، بل نحن عباد وإن رغمت أنوفنا، وإن الساعات كلها ملك لله الواحد القهار، فليس في الحياة وقت لك ووقت لله تعالى، بل لا تكاد تنفك عن عبوديتك لله تعالى طرفة عين؛ ولهذا كان النبي ﷺ يوضح هذه الحقيقة الكبرى لأصحابه وللأمة من بعدهم أن كل صغير وكبير في حياة العباد لا بد أن يكون منتظماً في سلك العبودية الحققة لله تبارك وتعالى؛



ثلاً يظن ظان أنه إذا أدى هذه الصلوات الخمس صار حرّاً من الأوامر والنواهي، وأنه بذلك قد أدى ما عليه من العبودية لله الواحد القهار، وأن له بعد ذلك أن يتبع هواه وشهوات نفسه فيما بقي من الوقت فيقول ما يشاء ويسمع ما يشاء وينظر ما يشاء ويتعامل كيف يشاء.

كلا عباد الله فإن هذه الصلوات الخمس لا تستغرق من اليوم أكثر من ساعة واحدة؛ فهل تظن عبد الله أن الله تعالى خلقك لتعبده ساعة واحدة وتتبع هواك وشهواتك ثلاثاً وعشرين ساعة هيهات هيهات، ولقد نزه الله تعالى نفسه الشريفة عن مثل هذا العبث أن يخلق خلقاً ليعبدوه ويتبعوا أمر برهة من الزمان، ثم يتبعون أهواءهم وشهواتهم وعاداتهم وتقاليدهم باقي العمر فقال عز من قائل عليّاً: ﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ (١١٢) قَالُوا لَيْتَنَا بَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ (١١٣) قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) [المؤمنون: ١١٢-١١٧].

وقال سبحانه: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة: ٣٦).

كلا والله ما خلقنا عبثاً وما تركنا سدى، بل الوقت كله والعمر كله



والعمل كله يجب أن يكون وفق شرع الله جل وعلا، ولا نقول كما تقول العلمانية الملحدة ولا العصرانية الماجنة ولا العقلانية الهابطة: «ما لله الله وما لقيصر لقيصر» بل قيصر وما يملك بل والدنيا كلها بل والآخرة لله الواحد القهار كما قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٢٥] فقد جاء الدين ليدخل معك في جميع لحظات حياتك فلا إله إلا الله منهج متكامل للحياة؛ فالدين في السياسة والدين في الاقتصاد والدين في علاقات الدول والأفراد والجماعات، والدين معك في شارعك ومتجرك وبيتك وسوقك وفي كل لحظات حياتك على حد قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهُيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَنْبِئُكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [٥٦] قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أُلْحَمْتُ إِلَهُ يَخُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦، ٥٧].

وهذا هو المعنى الحقيقي لـ: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

ولهذا لما ظن قوم شعيب أنه لا علاقة للدين في الأمور الاقتصادية رد الله عليهم ذلك، وبين لهم أن الدين هو الذل والانقياد لشرع الله تعالى في كل صغير وكبير في هذه الحياة، وأن الدين لا ينحصر في المساجد ودور العبادات ولا في طقوس معينة ولا عبادات مخصوصة، بل هو الحياة كلها من المهد إلى اللحد، كما قال تعالى عن قوم شعيب: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ



شُعَيْبًا قَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا
الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَانَكُمْ يُخَيَّرُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَنْقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا
تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ
اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا
يَدُّ شُعَيْبٍ أَصْلُوتُنَا نَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي
أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَنْقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ فِكْرًا إِلَى
مَا أَنهَنكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَنْقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ
مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ
﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثَابِعُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا
يَدُّ شُعَيْبٍ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ
لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَنْقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ
اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾
وَيَنْقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ
عَذَابٌ يُخَيِّرُهُ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾
وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ



ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٩٥﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدَيْنٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٦﴾ [هود: ٨٤-٩٥].

إذن فقد جاء الدين لِيُهِيمَنَ على الحياة كلها، وإن رغمت أنوف المبطلين هذا هو الحق المبين، وويل للظالمين الأفاكين من مشهد يوم عظيم كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٣٦﴾ فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابَ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ [مريم: ٣٦-٤٠].

وأما الشبهة الباطلة الجائرة فهي ما أَرْجَفَ بها الشيطان على بعض العباد فَسَوَّلَ لهم الخروج عن طاعة ربهم، وزين لهم سوء عملهم والعياذ بالله منها، ألا وهي احتجاجهم بقول النبي ﷺ: «ولكن ساعة وساعة».

ونحن نسوق الحديث كاملاً ليفهم العباد مراد النبي ﷺ من هذه المقولة العظيمة؛ فإن من مسالك أهل البدع والضلال أن يقتطعوا ما يحلو لهم من الآيات والأحاديث، ويضربوا بالباقي عرض الحائط، والعياذ بالله؛ إمعاناً منهم في اتباع الهوى ومخالفة الهدى أو إضلالاً للناس على علم وبصيرة، والعياذ بالله.

فقد أخرج مسلم في «صحيحه» عن أبي ربيعي حنظلة بن الربيع



الأسدي الكاتب أحد كتاب رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: لقيني أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله! ما تقول؟ قلت: نكون عند رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأننا رأيُّ عين؛ فإذا خرجنا من عند رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضييعات نسينا كثيرًا. قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فوالله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رَسُولَ اللَّهِ! فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وما ذاك؟» قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأننا رأيُّ عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضييعات نسينا كثيرًا. فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة في فرشكم وفي طرقكم! ولكن يا حنظلة ساعة وساعة». ثلاث مرات.

وعليه فمن قرأ الحديث بتمامه تبين له مراد النبي ﷺ من هذه المقولة، وأن المراد بذلك أي ساعة في الحق وأخرى في الحق أيضًا، أو على الأقل في المباح الذي يثاب عليه الإنسان إن أحسن نيته، وإلا فأقل ذلك أنه لا ثواب فيه ولا عقاب؛ فإن ملاعبة الأهل والأولاد من الحق ويؤجر عليه الإنسان بإذن الله تعالى، ولكن حتمًا ليس الحق الأول كالحق الثاني. ولهذا وجد حنظلة وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما الفرق بينهما فظنه



حَنْظَلَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نِفَاقًا؛ فَجَلَّى لَهُمَا الْأَمْرَ النَّبِيُّ ﷺ.

وليت شعري هل يظن أحد أن النبي ﷺ يقصد ما يقصده هؤلاء المبتطلون أن العبد يكون ساعة في طاعة ربه وساعة في طاعة شيطانه حاشاه وكلا بأبي هو وأمي ﷺ؛ فإنه هو القائل: «إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم». متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فلا سبيل إلى الحرام بل هو الحلال الطيب والله طيب لا يقبل إلا طيبًا.

فأين هذا ممن يقول هذه المقولة الجائرة الباطلة ويريد بها أن يكون مع الملهيات والمحرمات والمنكرات ساعة، وساعة أخرى مع المباحات والطاعات هيئات هيئات، ومعاذ الله أن يكون هذا مراد رسول الله ﷺ وسبحان الله العظيم عما يريد ويقول المبتطلون.

وهنا يَجْدُرُ وَيَحْسُنُ التنبيه على أن العبد باستطاعته بعد توفيق الله تعالى وعونه أن يحول الحياة كلها إلى طاعة لله تعالى، وذلك بالاحتساب في كل ما يأتي ويذر، بأن يحرص على أن يحسن نِيَّتَهُ وَيَتَذَكَّرَ ما لله تعالى في هذا الفعل أو ذاك مِنْ أمر ونهي فَيَقِفَ الموقف الصحيح شرعًا على حال ليكون مأجورًا في ذلك كله.





عَبْدُ عَابِدٍ وَعَبْدُ مُعَبَّدٍ

اعلم رحمك الله وأرشدك لطاعته أن الإنسان خلق عبداً وأنه لا بد له أن يعبد؛ فمنهم من عبد الحجر، ومنهم من عبد الشجر، ومنهم من عبد المال، ومنهم من عبد المنصب والكراسي، ومنهم من عبد الهوى ومنهم من عبد الشياطين، بل وفي العصر الحديث منهم من عبد الفروج والفتران نسأل الله العافية والسلامة ومنهم من عبد الله الواحد القهار. ولهذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى كلاماً معناه: «إن في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء سوى عبادة الله تعالى وطاعته»^(٥).

ولهذا نرى الكفار والمشركين في الشرق والغرب يبحثون عن السعادة فلا يجدونها، فيعْبُونَ من الأموال والشهوات وحطام الدنيا الشيء الكثير ثم

(٥) كما في «الوابل الصيب»: «(الثامنة والثلاثون): في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء أَلْبَنَهُ إلا ذكر الله ﷻ فإذا صار شعَارَ القلب بحيث يكون هو الذَّاكِرُ بِطَرِيقِ الْأَصَالَةِ واللسان تبع له فهذا هو الذِّكْرُ الذي يَسُدُّ الْخَلَّةَ وَيُقْنِي الْفَاقَةَ، فيكون صاحِبُهُ غَنِيًّا بِلا مال، عزيزاً بلا عَشِيرَةٍ، مَهِيًّا بلا سُلْطَان، فإذا كان غافلاً عن ذكر الله ﷻ فهو بِضِدِّ ذلك، فَقِيرٌ مع كَثْرَةِ جِدَّتِهِ، ذَلِيلٌ مع سُلْطَانِهِ، حَقِيرٌ مع كَثْرَةِ عَشِيرَتِهِ» اهـ.



تكون نهاية أحدهم الانتحار ليقضي على هذه الحياة التي لا يجد لها طعمًا ولا معنى، فما هو إلا البؤس والشقاء الذي كتبه الله تعالى على كل من تنكب صراطه المستقيم، وتخلّى عن أمانته وتنكر لربه جل وعلا ولشرعه ورسوله ودينه نسأل الله العافية والسلامة آمين.

وهو مع هذا كله لا ينفك عن كونه عبدًا لله جل وعلا، ولكنه عبد مُعبد؛ أي: مقهور مذلل لا يملك أن يخرج عن قدر الله، ولا عن ملكه طرفه عين، والعباد كلهم كذلك مُؤْمِنُهُمْ وكَاْفِرُهُمْ بُرُّهُمْ وفَاْجِرُهُمْ ذَكْرُهُمْ وَأُنْثَاهُمْ؛ ولذلك فَإِنَّ الشَّانَ كُلَّ الشَّانِ أَنْ تَكُونَ عَبْدًا عَابِدًا لَا عَبْدًا مُعَبَّدًا.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كلام معناه (٦) أن العباد ينقسمون إلى قسمين عباد معبدون وعباد عابدون، وأن العبد العابد هو المطيع لربه ولرسوله ولدينه وشريعته، الذي يحفظ قلبه وجوارحه مما حرم الله تعالى على حد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) [الإسراء: ٣٦]. وهذا الصنف من العباد هم الذين أضافهم الله إلى نفسه في كتابه العزيز إضافة التشريف والإكرام؛ حيث قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ

(٦) راجع مجموع الفتاوى (١٥٣ / ١٠).



الرَّحْمَنِ الَّذِيكَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا
سَلَامًا ﴿٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣].

وما أحسن ما قال الشاعر:

ومما زادني شرفاً وتيها

وكدت بأخصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي

وأن صيرت أحمد لي نبياً

فكن أخي بارك الله فيك عبداً عابداً معبداً، وإياك أن تكون عبداً

معبداً لا عابداً.





السبيل في طلب العلم

إن الله تبارك وتعالى لا يقبل من العباد عملاً إلا إذا كان خالصاً صواباً، والخالص هو ما ابتغي به وجه الله تعالى وحده لا شريك له، والصواب هو ما كان على سنة النبي ﷺ كما قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها ولمسلم بلفظ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

وعن أبي نجیح العرْباض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: وعظنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ موعظةً بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون. فقلنا: يا رَسُولَ اللَّهِ كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا! فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة». رواه أبو داود والترمذي وَقَالَ: «حديث حسن صحيح».

فإذا علمنا ذلك أيقنا أنه لا سبيل إلى حمل هذه الأمانة على الوجه المطلوب إلا بمعرفة حدود ما أنزل الله على رسوله ﷺ، وأنه لا سبيل إلى



ذلك إلا بطلب العلم الشرعي، فيه نعرف الحق من الباطل، والخير من الشر، والحلال من الحرام.

فقد دلنا عليه الصلاة والسلام على تفاصيل هذه الأمانة وعلى حقائق هذه العبودية في أدق تفاصيلها، حتى أنه أمرنا ونهانا حتى في كيفية قضائنا لحاجتنا، كما أخرج مسلم في «صحيحه» عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلِمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى الْخِرَاءَ! قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لَغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بَعْظَمٍ».

وكما قال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ إِلَّا وَذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا» (٧).

نعم بأبي هو وأمي ﷺ فيها هو يأمرنا حتى في كيفية لبس نعالنا وثيابنا فقد جاء في «الصحيحين» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمَنِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشَّمَالِ؛ لَتَكُنَ الْيَمَنِ أَوْلَهُمَا تَنْعَلُ وَآخِرُهُمَا تَنْزَعُ» وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا

(٧) اختلف في إسناد هذا الخبر وأمثل طرقه ما رواه فطر بن خليفة عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن أبي ذر وظاهر إسناد الصحة، لولا أنه قد اختلف على فطر فيه، ولكن ما زال السلف يَسَمُّونَ في مثل هذا، والله أعلم.



يمش أحدكم في نعل واحدة لينعلهما جميعاً أو ليخلعهما جميعاً».

وفي رواية: «أو ليحفهما جميعاً» متفق عليه.

وعند أبي داود من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا لبستم وإذا توضأتم فابدءوا بأيمانكم».

فإذا كان هذا الأمر في لبس النعال فما ظنك بما عداه، فإن الأمر عظيم إنها العبودية الحققة لله جل وعلا بالمتابعة التامة لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ.

فشمر أخي بارك الله فيك عن ساعد الجد، واطلب هذا العلم الشريف لكي تكون ممن حمل الأمانة بحق، واعلم أنه ما عبد الله تعالى بمثل العلم كما قال ذلك الإمام الزهري وغيره، واعلم أن أقرب طريق إلى رضوان الله وجنته هو طريق طلب العلم والعمل به كما قال النبي ﷺ: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة». رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واعلم أن مقياس التوفيق والخيرية هو في طلب هذا العلم كما قال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين». متفق عليه من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد ضرب النبي ﷺ لذلك مثلاً رائعاً يبين أحوال العباد مع هذا العلم والهدى فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:



«إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً». فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». متفق عليه.

ولهذا كان أهل العلم هم أفضل من سلك طريق الجنة؛ فعمروا أوقاتهم بطاعة الله تعالى، فأورثهم العلم خشية الله تبارك وتعالى، فكان ذلك سبباً في دخولهم الجنة، نسأل الله من فضله العظيم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

ثم بين سبحانه في آية أخرى أن الخشية سبب عظيم لدخول الجنة، فقال سبحانه في خواتيم سورة البينة ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ﴾ (٧) ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (٨) [البينة: ٧، ٨].

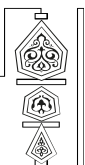
فعلم من مفهوم الآيتين أن أقرب طريق للخشية هو العلم والعمل به، وأن الخشية تدخل الجنة، أي: أن أقرب طريق وأفضله يوصل إلى



الجنة هو طلب العلم والعمل به، ولهذا كان النبي ﷺ يسأل الله المريد من العلم ليعمل به فيقترب من الله ﷻ أكثر وأكثر؛ فقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]؛ فما أُمِر النبي ﷺ من الاستزادة من شيء إلا من العلم.

فإن قَصُرَتْ هِمَّتُكَ عن طلب العلم فإياك إياك أن تُقَدِّمَ على شَأْنٍ مِنْ شُؤْنِكَ حتى تسأل أهل العلم، كما قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].





سادساً:

ما يعين على تذكر الأمانة وعدم نسيانها

إن الإنسان بطبعه كثير النسيان، وأعداؤه يحرصون على إيقاعه في الغفلة؛ ولهذا فقد أرشد الله عباده إلى وسائل تُعينهم، فتذكّرهم إذا نسوا وتنبّههم إذا غفلوا، ونحن نذكر جملة منها:

○ أولاً: تدبر القرآن الكريم

لقد سمى الله تبارك وتعالى كتابه العزيز روحاً تحيا به القلوب، ونوراً تُبدّد به دياجير الظلمات، وهدى تندفع به الشبهات والضلالات، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْنَبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ٥٣ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ٥٤﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣] والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً وكذلك الأحاديث.



ولهذا أمر الله عباده بتدبر هذا القرآن، وإلا قست قلوبهم وساءت أحوالهم فنسوا ربهم فكانت الهلكة والعياذ بالله، كما قال تعالى:

﴿وَيَقُولُوا طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨١، ٨٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَضْرِيُوتَ وُجُوهِِهِمْ وَأَدْبَارِهِمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَاحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٤-٢٨].

بل وحذرنا ﷺ من أن يجري علينا ما جرى على أهل الكتاب من قبلنا كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦، ١٧].



فلقد ذكر الله تبارك وتعالى فيه حقائقنا وأمراض قلوبنا، وبين علاجها، وضرب لنا فيه الأمثال، وقص علينا فيه القصص التي ملئت بالعبر، وحكم فيه وقضى، وأمر فيه ووصى؛ فمن أراد النجاة فعليه بتدبر هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما قال تعالى: ﴿وَلَنُفِثَنَّ لَكَ نَبْءَ عَزِيزٍ ۖ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۚ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

وإنك لتعجب من بعض العباد عافانا الله وإياهم ترى الواحد منهم يفهم أقوال البشر ويعرف أحوالاً كثيرة من حطام الدنيا ويُحَسِّنُ الجدل والنقاش ويحفظ أسماء اللاعبين واللاعبات والممثلين والممثلات وغيرهم من أهل الفسق والفجور ويعرف عنهم الكثير الكثير، ولكنه وللأسف الشديد لا يعرف عن كتاب الله إلا نزرًا يسيرًا، ولو سألت جملة من العباد من حَوْلِكَ عن معاني سور يحفظها الصغير والكبير لَقَلَّبَ بَصَرَهُ ولم يَحِرْ جوابًا، وَلَضَرَبَ أَخْمَاسًا بِأَسَدَاسٍ؛ فَالْجُعْبَةُ فَارِغَةٌ فَلَا عِلْمَ وَلَا حِلْمَ عِيَاذًا بالله من ذلك.

وإن شئت فاسأل نفسك ومن حولك ما معنى: ﴿اللَّهُ الضَّمَدُ ۚ﴾ [الإخلاص: ٢] وما معنى؟ ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۚ﴾ [الفلق: ٣]؟ وهذا مثال بسيط من سور يحفظها الجميع؛ فما بالك بها سواها فالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله



العلي العظيم.

ولله در الإمام ابن القيم عندما قال في «نونيته»:

فتدبر القرآن إن رمت الهدى

فالعلم تحت تدبر القرآن

والعجيب أن المصاحف قد انتشرت بحمد الله تعالى ودخلت جميع البيوت، ولكنك لو فتشت لوجدت أن الغبار يعلوها في كثير من البيوتات إلا من رحم الله فالشفاء بين أيدينا والنجاة في متناولنا، ولكن الأمر كما قال الشاعر:

ومن العجائب والعجائب جمة

قرب الشفاء وما إليه وصول

كالعيس في البداء يقتلها الظما

والماء فوق ظهورها محمول

فَالْعِيس وهي الإبل إذا كانت في الصحراء وقد اشتد عطشها لا تستطيع تناول الماء مع أنه مَحْمُولٌ في القَرَبِ على ظهورها، فالله المستعان وبئست الحال هذه إن كنا كذلك.

○ ثانيًا: التفكر في هذا الكون العظيم

لقد جعل الله تعالى في كونه من الآيات والعبر الدالة على وحدانيته



وَالْمُذَكَّرَةَ لِلْعِبَادِ بِرَبِّهِمْ جَلَّ وَعَلَا لِيَعْبُدُوهُ وَيَقْدُرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ؛ ولهذا كان في تدبر هذا الكون وكل ما حولنا عون كبير في تذكر هذه الأمانة والقيام بها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٨٩) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَعْمَأْنَا رَبَّنَا فَاعْرِفْنَا لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ (١٩٤) [آل عمران: ١٨٩-١٩٤].

قال ابن كثير في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ



فَرَشَا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]: «وهذه
الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده؛ فإن من تأمل هذه
الموجودات عَلمَ قدرةَ خالقها وحكمته، وعلمه وإتقانه، وعظيم سلطانه،
كما قال بعض الأعراب وقد سئل: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟
فقال: يا سبحان الله إن البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على
المسير فساءً ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج! ألا
يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟!

وحكى الرازي عن الإمام مالك: أن الرشيد سألَه عن ذلك فاستدل
له باختلاف اللغات، والأصوات، والنغمات.

وعن أبي حنيفة أن (بعض الزنادقة) سألوه عن وجود الباري تعالى
فقال لهم: دعوني فإنني مفكر في أمر قد أُخبرت عنه، ذكروا لي أن سفينة في
البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها،
وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتُحترق الأمواج العظام حتى
تتخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد.
فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل! فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها
من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس
لها صانع؟! فهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه.



وعن الشافعي أنه سئل عن وجود الصانع فقال: هذا ورق التوت طعمه واحدٌ تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم -الإبريسم: الحرير- وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعراً وروثاً، وتأكله الطباء فيخرج منها المسك وهو شيء واحد.

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه سئل عن ذلك فقال: ها هنا حصنٌ حصين أملس ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب والإبريز، فبينما هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكلٍ حسن وصوت مليح يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة.

وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد:

تأمل في نبات الأرض وانظر

إلى آثار ما صنع المليكُ

عيونٌ من لجين شاخصاتٌ

بأحداق هي الذهب السبيكُ

على قضب الزبرجد شاهدات

بأن الله ليس له شريكُ



وقال ابن المعتز:

فيا عجبًا كيف يعصى الإله
أم كيف يحده الجاحدُ
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحدُ

وقال آخرون: من تأمل هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة من السيارات ومن الثوابت، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة ولها في أنفسها سير يخصصها، ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب، والجلال الموضوعة في الأرض لتقر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيَّةٌ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧] وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع، وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوعة والنبات المختلف الطعوم والأشكال والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء، استدل على وجود الصانع وقدرته العظيمة، وحكمته ورحمته بخلقه، ولطفه بهم وإحسانه إليهم، لا إله غيره ولا ربَّ سواه، عليه توكلت وإليه أنيب، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدًا». اهـ.



وما أحسن ما قاله ذلك الشاعر الذي تأمل في مخلوقات الله حتى في
البعوضة الصغيرة ليرى فيها طرفاً من تلك القدرة الإلهية العظيمة الباهرة
فأنشد قائلاً:

يا من يرى مد البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نياط عروقها في نحرها
والمخ في تلك العظام النُّحُل
ويرى مكان الدم من أعضائها
متنقلاً من مفصل في مفصل
ويرى مكان المشي — من أقدامها
وخطيظها في مشيها المستعجل
اغفر لعبد تاب من فرطاته
ما كان منه في الزمان الأول
ومن كان هذا شأنه قلت غفلته وحيا قلبه؛ فكان قريباً من ربه
وخالقه، مشاهدًا لعظمة ربه في دقيق خلقه وعظيم صنعه سبحانه وتعالى
عما يصفون ويقولون علوّاً كبيرًا.



○ ثالثاً: تذكر الدار الآخرة

لقد وصف الله تبارك وتعالى الدار الآخرة وصفاً دقيقاً بليغاً حتى كأنما الواحد منا يعاينها بين يديه، وأكثر النبي ﷺ من ذكر الدار الآخرة وحث أمته على تذكرها؛ فإن في ذلك عوناً كبيراً على عدم نسيان الأمر الذي خلقنا له والأمانة التي حملناها.

ولهذا فمن آدم من ذكر الدار الآخرة قلت غفلته وكثر خيره وقل شره، وأقبل على ربه بالطاعة وعلى نفسه بما يصلحها، ولقد امتدح الله تعالى رسله وأنبياؤه بهذا الأمر العظيم حيث قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: ٤٦].

قال ابن كثير: «قال مجاهد: أي: جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم همٌّ غيرها».

وقال مالك بن دينار: «نزع الله من قلوبهم حب الدنيا وذكرها، وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها».

وقال سعيد بن جبير: «يعني بالدار (الجنة) يقول: أخلصناها لهم بذكرهم لها». اهـ.

وعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها». رواه مسلم.

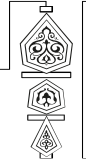
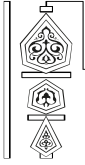


وعن أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمه. فبكى وأبكى من حوله.
فقال: «اسْتَأذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ
قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي، فزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ». رواه مسلم.

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي
الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٨٣) [القصص: ٨٣].

اللهم اجعلنا منهم ومن إذا ذُكِّرَ تَذَكَّرَ وإذا وُعِظَ اتَّعَظَ، آمين.





سابعًا: أَحْذَرْ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ

لقد كتب الله تبارك وتعالى البلاء على كل شيء فابتلى السموات والأرض بالطاعة والملائكة بالسجود لآدم، وابتلى إبليس بآدم وابتلى آدم وحواء بالشجرة، وابتلى الإنس والجن بحمل الأمانة، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

ومن جملة ذلك أنه ابتلانا بأعداء بعضهم من أنفسنا وبعضهم ممن حولنا يقطعون علينا الطريق في حمل هذه الأمانة الكبرى، ولكنه من فضله تبارك وتعالى لم يسلطهم علينا إلا إذا نسينا ربنا تبارك وتعالى وتنكبنا السراط المستقيم.

ومن فضله أيضًا جل وعلا أنه بين لنا هؤلاء الأعداء وحذرنا منهم، وبين لنا كيف السبيل إلى الخلاص من شرهم وكيدهم.

فإذا سألت من هم هؤلاء الأعداء قطاع الطريق؟ فإليك بيانهم من الكتاب والسنة وهم خمسة:



○ أولهم: إبليس أعادنا الله وإياكم منه

وهو أعدى أعداء الإنسان، وقد بين الله حجم عداوته في كثير من الآيات فمنها قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ١٦﴾ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا آغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ جَهَنَّمُ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ [الحجر: ٣٦-٤٤].

ولهذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَاهُمُ الْكِتَابَ عَلَّمْنَاهُ أَنْ لَا يُعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠-٦٢].

وبين الله تعالى صفات هذا العدو؛ فإنه يرانا من حيث لا نراه كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].



وأنه لا يهجم على الإنسان دفعة واحدة وإنما يتبع في إغوائه العباد وإضلالهم أسلوب الخطوات حتى يوقعهم في العظام فيهلكهم؛ ولهذا حذر الله من ذلك حيث قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

وبين سبحانه أنه يقلق العباد إلى المعاصي والكفر إقلاقاً، وأنه يخوفهم ويعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء والمنكر، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرَهُمْ أَزًّا﴾ [٨٣] ﴿فَلَا نَعْبَلُ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعْدُ لَهُمْ عَذَابًا﴾ [٨٤] ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [٨٥] ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ [٨٦] ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [٨٧] [مريم: ٨٣-٨٧].

وقال سبحانه: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وبين النبي ﷺ أنه ملازم لنا على جميع الأحوال؛ فلا بد أن نكون على حذر منه بذكر الله والاستعاذة منه بالله العظيم كما قال ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِّ». متفق عليه من حديث أم المؤمنين صفية بنت حيي.

ولهذا وبخ الله عقول من يتخذ من الشيطان ولياً بعد هذا البيان العظيم لعداوته وشدة كيده وحرصه الشديد والأکید على إغواء بني آدم؛



فقال عز من قائل علياً: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]؛ أي: كيف ترتضونه أكيلاً وشريراً وجليساً مع حالة كونه عدوًّا شديد العداوة لكم؛ فحقاً بئس للظالمين بدلاً، بئس من استبدل ولاية الرحمن جل جلاله بولاية الشيطان فلبئس المولى ولبئس العشير.

ولهذا بين الله تبارك وتعالى ما يريده بعباده من الخير والرحمة والإحسان، وما يريده بهم أعداؤهم وعلى رأسهم إبليس أعادنا الله إياكم منهم كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ [٢٧] يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا [٢٨] [النساء: ٢٧، ٢٨].

وقال سبحانه مُؤَمِّنًا وَمُطَمِّنًا عباده: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].
فأي الفريقين تختار عبد الله: ولاية الرحمن جل جلاله، أم ولاية الشيطان أعادنا الله وإياك منه؟!

وأختم بذكر خطبة الشيطان التي ذكرها الله تعالى في كتابه تحذيراً لعباده من عدوهم وإقامة للحجة عليهم، بل ورحمة بهم لعلهم أن ينتهوا عن موالاته.



قال الحسن: «يقف إبليس يوم القيامة خطيباً في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعاً».

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

○ ثانيهم: النفس الأمارة بالسوء

نعم عبد الله، لا بد أن تتعرف على هذه النفس التي بين جوانحك وأضلعك، ولا بد أن تكون صادقاً معها حتى تكون النجاة بإذن الله تعالى؛ فإنها تأمرك بالسوء وتنهك عن الخير، وتنسيك أمانتك؛ فإن اتبعتها أهلكتك كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

فلا بد إذن من مجاهدتها حتى ترتقي بنفسك فتكون نفساً لوامة تلومك على التقصير عن الطاعات والانغماس في المحرمات، ثم زد في المجاهدة حتى تصير من النفوس المطمئنة، التي لا تأمر صاحبها إلا بكل خير ولا تنهها إلا عن كل سوء وشر؛ فتصير من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم



يُحْزَنُونَ؛ فَنَعَمُ الْمَالُ وَنَعَمُ الْمَرْجِعُ جَنَاتٍ وَنَهْرٌ فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مُلِكٍ مُقْتَدِرٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعْنِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَأَدْخُلْنِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَأَدْخُلْنِي جَنَّاتٍ ﴿[الفجر: ٢٧-٣٠].

○ ثالثهم: الهوى الذي يعمي ويصم

إن النفس الأمارة بالسوء إذا كانت تأمر بالسوء والشر؛ فإن الهوى لا يقل خطراً عنها؛ فإنه يُزَيِّنُ للنفس هذا السوء والشر حتى إذا تحرك وَازَعُ الفطرة والإيمان في القلوب للإقلاع عن هذا المنكر مثلاً جاء الهوى فَاجْتَلَبَ عَلَى النَّفْسِ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ، وَلَا يَزَالُ يُلْحِقُ وَيُصِرُّ عَلَى الذَّنْبِ والمعصية حتى يُقَارِفَهَا العبد، والعياذ بالله.

ولهذا حذر الله من هذا الهوى المقيت أعظم تحذير، وأمر بمخالفته، وردع النفوس عن غيها والهوى عن إضلاله وتزيينه للمعاصي والمنكرات، فقال عز من قائل علياً: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحِمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرَكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٧١) [الأعراف: ١٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ



أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَانِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَتَرَدَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٥-١٦].

وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوْنَهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [القصص: ٤٩-٥١].

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

ومن السنة ما أخرجه مسلم في «صحيحه» عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتْنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ. فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَل. قَالَ: تِلْكَ تَكْفُرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ



والصدقة. ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم. فقلت: أنا. قال: أنت، لله أبوك! قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا. فأئي قلبٍ أشربها نُكِتَ فيه نكتةٌ سوداء، وأيُّ قلبٍ أنكرها نُكِتَ فيه نكتةٌ بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنةٌ ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مر بادٌ كالكوز مُجخيًّا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه».

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أتدرون من هو ميت الأحياء فقلنا؟: لا، فقال: ميت الأحياء الذي لا يعرف قلبه معروفًا ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه».

وقال الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت

إنما الميت ميت الأحياء

فكن عبد الله على حذر من هذا الهوى المذموم؛ فإنه يورث الهلكة، والعياذ بالله؛ والأمر كما قال أبو تمام:

وعبادة الأهواء في تطويجها

بالدين فوق عبادة الأصنام

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: «عبد الله إياك والهوى؛ فإن الهوى



يهوي بصاحبه في نار جهنم».

نسأل الله العافية والسلامة من الهوى الذي يعمي صاحبه ويصمه
عن سماع الحق والانقياد له آمين.

○ رابعهم: الدنيا الغرورة

إن هذه الدنيا كما وصفها النبي ﷺ حلوة خضرة فمن جعلها مزرعته
للآخرة نجا، ومن جعل من نفسه خادماً لها أو عبداً لها يرضى لها ويسخط لها
فيها يوالي وفيها يعادي هي أكبر همه لأجلها يعطي ولأجلها يمنع فهذا هالك
خاسر، والعياذ بالله؛ فالدنيا خلقها الله داراً للابتلاء والامتحان فمن اتقى الله
فيها نجا ومن اتبع هواه وانخدع بزخرفها هلك وغوى، فهي الغرورة
الخداعة بهرجها وجمالها الزائف الكذاب فطوبى لمن لم ينخدع بها واتخذها
مزرعة للآخرة فعمل فيها بالخيرات والطاعات والقربات ما يبلغه إلى رب
البريات فيلقاه وهو عليه راض ولسعيه شاكر كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ
دَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنْ
النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعُ
الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وكما قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
لِّلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].



وكقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۝﴾ [لقمان: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَسِم مِّنْ ثُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۝﴾ [١٣] يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۝﴾ [١٤] قَالُوا لَمْ يَأْخُذْ مِنْكُمْ قِتْلَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَاؤُنْكُمْ أَلْتَارَىٰ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝﴾ [الحديد: ١٣-١٥].

وقوله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَكَثَافٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَدُّهُ مُمْصِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝﴾ [١٠] سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝﴾ [الحديد: ٢٠، ٢١].

واسمع إلى نصيحة مؤمن آل فرعون فقد ذكرها الله تعالى في كتابه فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ



الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ
الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ
ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ وَتَقُومُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ
﴿٤٢﴾ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا
أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٣﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي
الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبَدُ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ
النَّارِ ﴿٤٤﴾ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٥﴾ [غافر: ٣٨-٤٤].

وقد حذرنا النبي ﷺ منها فقال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء». رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيسَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضًى، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخَطٌ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا تَنْتَقِشْ، طَوْبَى لِعَبْدٍ أَخَذَ بِعَنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسَهُ، مَغْبَرَةً قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي



الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع».

قال الشاعر:

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم
وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل إذا ما نلت بالأمس لذة
فأفئيتها هل أنت إلا كحالم
وقال آخر:

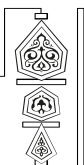
فاعمل على مهل فإنك ميت
واكدح لنفسك أيها الإنسان
فكأن ما قد كان لم يك إذ مضى
وكأن ما هو كائن قد كان
ونظر سليمان بن عبد الله في المرأة فقال: أنا الملك الشاب؛ فقالت له
جارية له:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى
غير أن لا بقاء للإنسان



ليس فيما بدالنا منك عيب
كان في الناس غير أنك فاني





قصة مؤثرة

يذكر أهل العلم قصة معبرة ومؤثرة في بيان حقيقة الحياة الدنيا وأصناف الناس فيها وحالهم معها على ما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ حيث قال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل». أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال أهل العلم: «يُذكر أنه كانت هناك جزيرة في عرض البحر وكان بها سكان عجيبة أحوالهم كثير شقاقهم ونزاعهم؛ فلا يكاد يهدأ لهم بال ولا يسكن لهم حال حتى بلغ الأمر أنهم لم يستطيعوا أن يُؤمروا عليهم أحدهم لكثرة عنادهم وصعوبة مراسيمهم؛ فاتفقوا على أن يُؤمروا عليهم أول طالع يطلع عليهم، وكان في الجزيرة من أنواع الملذات الشيء الكثير من مأكول ومشرب ونساء ودور وقصور.

فلما استقر أمرهم على ذلك بقوا فترة من الزمان وهم يترقبون أول طالع يطلع عليهم ليؤمروه عليهم، وما هي إلا أيام حتى رست سفينة على شاطئ هذه الجزيرة ونزل أحد ركايبها ليقضي له حاجة هناك فما أن رآوه حتى هرعوا إليه وأخذوه وأكرموه وشرحوا له أزمته وطلبوا منه



أن يكون ملكًا عليهم يأترون بأمره ويلبون طلباته على أن يقوم بسياسة ملكهم على جزيرتهم.

فقال لهم الرجل: ما شأني وشأنكم ما أنا إلا عابر سبيل أو غريب على ظهر جزيرتكم لا حاجة لي بملككم ولا أُرَبِّ لي في جزيرتكم إلا قضاء حاجتي، ثم أنصرف عنها إلى منقلي من حيث أتيت، ولكنهم أصروا عليه ولا زالوا يمينونه ويزخرفون له الأمور بذكر محاسن جزيرتهم وما سيكون تحت يديه من الحشم والخدم والنساء والأموال حتى ملئوا قلبه وعينه بالملك فنزل على طلبهم ورضي بملكهم.

فقالوا له وقد رأوا أنه قد أُشْرِبَ قَلْبُهُ حُبَّ الملك والتلذذ به: إنا أهل هذه الجزيرة لا نكاد نسلم زمامنا لرجل واحد زمنًا طويلاً ولكن سنضرب لك موعدًا لمدة بقائك عندنا ملكًا علينا فإذا انقضت المدة وجاء الأجل أخرجناك عن جزيرتنا إلى تلك الجزيرة النائية هناك في عرض البحر أترأها؟ فقال: نعم أراها فقالوا له فما رأيك، فقال: قبلت طلبكم ورضيت بشرطكم فملكوه عليهم فاستأنس بهم وأخذ يأمر وينهى ويزرع ويقلع ويتزوج من النساء ويكاثر بالأولاد والأموال، وبينما هو كذلك وقد نَسِيَ الموعد المَحْتُمُ إذا به بأهل القرية إليه يَزِفُون وإيَّاهُ يَحْمِلُونَ ليخرجوه من جزيرتهم فقد حان الأجل وحضر وهو يصيح زوجتي ولدي مالي مزرعتي وهكذا فقالوا له: لا شيء لك جئت وحيداً



لا ملك لك وقد شرطنا عليك فليس لك اليوم سوى تلك الجزيرة المقفرة التي ليس فيها سوى الهوام والدواب والسباع.

وهكذا كانت نهايته هناك حيث بطشت به تلك الهوام والدواب والسباع، وهكذا لا زال المغفلون يأتون على هذه الجزيرة ويقبلون ما قبل الأول وينسون كما نسي الأول فيجري عليهم ما جرى على صاحبهم، وبينما هم كذلك إذا بهم برجل حكيم عليم فأتوا إليه وعرضوا عليه ما عرضوا على من قبله فقال: قد قبلت طلبكم فملكوني أمركم ففعلوا على أنهم سيخرجونه إلى تلك الجزيرة النائية كما فُعلَ بِأَقْرَانِهِ مِنْ قَبْلُ، فلما استتب له الملك أمر الخدم أن يذهبوا إلى تلك الجزيرة النائية ليخرجوا كل ما فيها من الأذى وكل ما فيها من المهلكات ففعلوا، ثم أمر بالزروع فزرعت هناك وبأنواع الفواكه وكل ما لذ وطاب، فأرسل به إلى هناك وبنى دورًا وقصورًا هناك وأرسل بأزواجه إلى هناك وكلما أراد أن يصنع شيئًا حسنًا أرسل به إلى هناك.

فلما جاء الأجل المحتوم إذا به بأهل القرية إليه يزفون وإياه يحملون ليخرجوه من قريتهم فقد حان الأجل وحضر فقال لهم: ما شأنكم قالوا: اخرج فقد حان وقت رحيلك فقال: نعم نخرج فما أتينا لنجلس ولا لنبقى فأخذوه فألقوه في تلك الجزيرة النائية؛ فإذا هي عمار بكل ما لذ وطاب وإذا به بملك عظيم لا يكدره عليه مكدر ولا ينغصه عليه منغص..»



وهكذا عباد الله كلنا كنا في جنة عرضها السموات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم سبانا إبليس بمكره وخديعته أعادنا الله وإياكم منه فأخرجنا مما كنا فيه من النعيم إلى دار الابتلاء والامتحان، فالسعيد منا مَنْ عَمَرَ داره في الآخرة بالأعمال الصالحة وأعد لتلك الدار عملاً يبلغه إياها؛ فما نحن في هذه الدنيا إلا للحظات وسويغات أوشكنا أن نرتحل عنها إلى دار المقامة فمن بناها بخير طاب مسكنه، ومن بناها بسوء خاب بانيها، فالسعيد من خرج من الجنة ثم عاد إليها حيث لا خروج منها، والشقي كل الشقاوة من خرج منها، وعاد إلى غيرها عياداً بالله منها نار تلظى لا يصلاها إلا الأشقي.

وقد أحسن ابن القيم حيث قال:

وحيَّ على جنات عدن فإنها

منازلك الأولى وفيها المقيم

وهل نحن إلا سبي العدو فهل

ترى نرد إلى أوطاننا ونسلم

وقال النووي في مقدمة كتابه «رياض الصالحين»:

إن الله عبداً فظناً

طلقوا الدنيا وخافوا الفتناً



نظروا فيها فلما علموا
أنها ليست لحى وطننا
جعلوها جلة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سفنا

فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وأعنا على
الاستعداد لما أماننا من الشدائد الصلاب والأمور الصعاب بفضلك
ومنك وكرمك يا ذا المن والجود والكرم والإحسان.

○ خامسهم: وهو أخطرها شياطين الإنس

لقد بين الشارع الحكيم أن شياطين الجن إذا ذكرت الله تعالى
واستعذت به منهم خنسوا وأدبروا وولوا ولهم ضراط خائبين، ولكن ما
الحيلة في شيطان يلازمك تراه ويراك إن ذهب تذكرك الله ثَبَّتَكَ وإن
ترددت في فعل معصية جَرَّأَكَ، وهو في ذلك يقدم لك ماله ونفسه ويزعم
أنه يجبك، ويظهر لك مِنَ الْوَدِّ ما يخدعك، وما من عقبة في طريق
الشر إلا ويحرص على تذليلها، وما من باب من أبواب الخير أردت
وُلُوجَه إلا حرص على إغلاقه دونك، أو على الأقل تشييطك عن الدخول
فيه.

فهذا هو أخطر الأعداء وأشدّهم عليك، فكن على حذر شديد منه بل



لربما كان كيده أعظم من كيد إبليس، أعاذنا الله وإياك منه، فعند شياطين
الإنس من التَّفَنُّن في طرق المعاصي والمنكرات ما لربما حَارَ إبليس فيها وذَهَلْ
عنها كما قال قائلهم:

لو أن أرباب الخنا حجر
لحملت فأَسَا فوقها الضجرُ
هوجاء لا تبقي ولا تذر
لكننا أصنامنا بشرُ
الغدر منهم خائف حذر
والمكر يشكو الضعف إن مكروا
وقال آخر، وقد رأى صولة شياطين الإنس في الباطل فقال مندهشاً
من ذلك:

صفق إبليس لها مندهشاً وباعهم فنونه
وقال ما عاد لي دور هنا دوري أنا أنتم
بل صرح أحدهم أنه أشد على الناس من إبليس، وأنه مكره فيهم
أعظم وكيده لهم أشد عياداً بالله من ذلك فقال:
وكنت امرأً من جند إبليس فارتقى
بي الدهر حتى صار إبليس من جندي



فإن يمت قبلي كنت أحسن بعده

طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

ولهذا كان شؤمهم على من صحبوه عظيم ومكرهم به جسيم؛ فهم مصرون أن يوردوه موارد الهلاك والردى، وأن يسوقوه إلى سبل الغواية والعمى، وهم في ذلك قد لبسوا له جلود الضأن بقلوب الذئاب، وخلطوا لهم حلاوة الكلام بالسسم الزعاف، قد جلسوا بكل صراط يوعدون وعن سبيل الله يصدون، كما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦].

وقال عن مكرهم: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

وقال سبحانه في بيان حرصهم على إضلال العباد: ﴿وَأَنْطَلَقَ أَلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصِيرُوا عَلَى ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [٦] ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِمَلَّةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْلَقُ﴾ [٧] ﴿أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ﴾ [٨] [ص: ٦-٨].

فاحذر عبد الله من أن تصحب أمثال هؤلاء فإنهم لجهنم يمهدون،



وعلى أبوابها يدعون، ويوم القيامة منك يتبرءون، وإن أطعتهم فانت وهم في جهنم تتلاعنون عياداً بالله من ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ۖ﴾ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۖ﴾ (٤٨) وَالَّذِينَ فِي النَّارِ لِحِزْنَةٍ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۖ﴾ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتٍ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاتُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ﴾ [غافر: ٤٧ - ٥٠].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارْكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِبُهُمْ لِأُولِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَا نَعْلَمُونَ ۖ﴾ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرِبُهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۖ﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ۖ﴾ (١٦٥) إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۖ﴾ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ



اتَّبِعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٥-
١٦٧].

فاحرص عبد الله على صحبة الأخيار، وإياك إياك وصحبة
الأشرار! فإنه بئس الجليس، وكما قيل: الصاحب صاحب.
وما أحسن ما قاله الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

إن القرين بالمقارن يقتدي

ولهذا أمرنا الله تبارك وتعالى بالصبر على صحبة الأخيار والفرار من
صحبة الأشرار، فقال جل من قائل علياً: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ
تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

ولهذا قال النبي ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل
صاحب المسك وكير الحديد، لا يعدمك من صاحب المسك إما أن تشتريه أو
تجد ريحه، وكير الحديد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة». رواه
البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



وقال جل وعلا: ﴿الْأَخْلَآءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا
الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧) يَعْبادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾
الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
مُحَبَّرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا
تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ
الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْثَقْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ
مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ [الزخرف: ٦٧-٧٣].

قال سفيان بن عيينة: «ما من أحد يأتيني بمثال مما تعرفه العرب إلا
وجئته من كتاب الله بمثله أو خير منه؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه:
﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا
كُفُورًا﴾» (الإسراء: ٨٩).

وقال سبحانه: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].
فجاءه رجل فقال: يا سفيان، أين تجد في كتاب الله مثل العرب
الذي تقول فيه: إذا أعطيت صاحبك ثمرة فأبى فأعطه جرة. فقال: نعم
هو في كتاب الله وأحسن قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ
نَقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) وَلَهُمْ لِيَصْدُقَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ
فَيَسَّ الْقَرِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ



مُشْتَرِكُونَ ﴿٣١﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٩].

وانظر إلى شؤم رفيق السوء على صاحبه في قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ
يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿٢٧﴾ يَوَلَّيْنِ
لَيْتَنِي لَمْ أَخْذُ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ ﴿٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وارجع إلى تفسير ذلك عند ابن كثير لتعرف ما حل بعقبة بن أبي
معيط من الخزي والجحيم والهلاك بسبب صديقه الفاجر الكافر، وانظر
ماذا حل بأبي طالب من جراء قرناء السوء الذين حرصوا على إهلاكه فما
برحوا يلاحقونه حتى حضروه عند وفاته ليتأكدوا من هلاكه على الباطل
فصار حطباً لجهنم، والعياذ بالله.

فقد أخرج البخاري ومسلم في «صحيحهما» من طريق سعيد بن
المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة. جاءه رسول الله ﷺ.
فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة. فقال رسول الله
ﷺ: «يا عم، قل: لا إله إلا الله. كلمة أشهد لك بها عند الله» فقال أبو
جهل وعبد الله ابن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟
فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو
طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا
الله. فقال رسول الله ﷺ: «أما والله! لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل



الله ﷻ: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١١٣)
[التوبة: ١١٣]. وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ:
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥٦) [القصص: ٥٦].

فأي شؤم ووبال على الإنسان أعظم من هذا العدو اللدود في ثوب
الصديق النصوح، ولكن الأمر كما قال ﷺ: ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ
بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٣٨) [الأنعام: ١٢٩].

ولنتذكر أن الله تعالى ذَكَرَ الْكَلْبَ الذي صَحِبَ أصحاب الكهف،
فَشَرَّفَ الكلب بشرف صحبته للصلحين الموحدين حتى تكلم الله به في
كتابه العزيز، كما قال تعالى: ﴿ وَنَحْسَبُهُمْ آتِفَاءً لَهُمْ وَهُم رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ
ذَاتَ اليمينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ
عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتُ مِنْهُمْ رُعبًا ﴾ (١٨) [الكهف: ١٨]، ثم
كرر ذكره بعدها ثلاث مرات، فَيَا لَهُ مِنْ فَضْلٍ وَشَرَفٍ حَصَلَ لهذا الكلب
بفضل هذه الصُّحْبَةِ المباركة الطيبة.

فكيف بك أيها العبد المسلم إذا صَحِبْتَ أهل العلم والجهاد
والمجاهدة والفضل والصلاح والتقوى، إذا فَأَبَشَرَ بِكُلِّ خير وعافية وفوز
وفلاح ونجاح، نسأل الله تعالى من فضله العظيم إنه جواد كريم برُّ



رءوف رحيم.

فنسأل الله العافية والسلامة من أصدقاء السوء، ومن جميع الأعداء
الذين يقطعون علينا سيرنا إلى الله تبارك وتعالى، وينسوننا الأمانة التي
حملناها بين يدي الله تبارك وتعالى.

وقد أحسن أحدهم في جمع هؤلاء الأعداء في آيات حيث
قال:

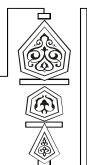
إني بليت بأربع يرميني
بالنبل قد نصبوا علي شراكا
إبليس والدنيا ونفسي والهوى
من أين أرجو بينهن فكاكا
يا رب ساعدني بعفو إنني
أصبت لا أرجو لهن سواكا
ولو قال:

إني بليت بخمسة يرميني
بالنبل قد نصبوا علي شراكا
إبليس والدنيا ونفسي والهوى
وأخو الضلالة قصده إغواكا



يا رب ساعدني بعفو إنني
أصبحت لا أرجو لهن سواك
لكان ذلك أجمع وأحسن والله الموفق للرشاد لا رب لنا سواه.





ثامناً وأخيراً: إذن الأمانة فالكرامة أو المهانة

وبهذا عباد الله تكون قد تجلت لنا الأمور وظهرت لنا حقيقة الأمانة وأبعادها وأعداؤها، وأن الكرامة والسعادة في الدنيا والدار الآخرة مرهونة بالقيام بهذه الأمانة كما يحب ربنا ويرضى؛ فمن أراد العز والكرامة فهو في حمل هذه الأمانة، ومن أبى إلا الغواية والضلالة فما هنالك إلا المهانة فإنك إن حملتها كنت على الله كريماً وإن أبيتها وتركتها كنت عند الله مهيناً لئيماً؛ فإن الله أخبر في كتابه أنه أحسن إلى بني آدم وأكرمهم فقال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

لكن من العباد من لم يرض إلا بالمهانة فتخلى عن الأمانة فصار أهون على الله تعالى من الجعلان التي تدفع التشن بأنفها فقال تعالى عنهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا



وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَلَّا لَتَنْعَمَ بِهِ لَهُمْ أَصْلٌ أُولَئِكَ هُمُ الْعَقْلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال جل جلاله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٥-٢٠].

فأكرم نفسك عبد الله أو أهنها وما ربك بظلام للعبيد.

قد هيئوك لأمر لو فطنت له

فاربأ بنفسك أن ترعى مع المهمل

قال ابن القيم في كتابه: «الفوائد»: «فائدة جلية: إذا أصبح العبد وأمسى وليس همته إلا الله وحده تحمّل الله سبحانه حوائجه كلها وحمل عنه كل ما أهمه وفرغ قلبه لمحبهته ولسانه لذكره وجوارحه لطاعته، وإن أصبح وأمسى والدنيا همته حملة الله همومها وغمومها وأنكادها ووكله إلى



نَفْسِهِ فَشَغَلَ قَلْبُهُ عَنْ مَحَبَّتِهِ بِمَحَبَّةِ الْخَلْقِ وَلِسَانُهُ عَنْ ذِكْرِهِ بِذِكْرِهِمْ
وَجَوَارِحُهُ عَنْ طَاعَتِهِ بِخِدْمَتِهِمْ وَأَشْغَالُهُمْ، فَهُوَ يَكْدَحُ كَدْحَ الْوَحْشِ فِي
خِدْمَةِ غَيْرِهِ كَالْكَبِيرِ يَنْفُخُ بَطْنَهُ وَيَعْصِرُ أَضْلَاعَهُ فِي نَفْعِ غَيْرِهِ، لِكُلِّ مَنْ
أَعْرَضَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ يُلَيِّ بِعُبُودِيَّةٍ لِمَخْلُوقٍ وَمَحَبَّتِهِ
وَعِلْمَتِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ، سَيَطْنًا فَهُوَ لَهُ،
قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ لَا تَأْتُونَ بِمِثْلِ مَشْهُورٍ
لِلْعَرَبِ إِلَّا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ فَأَيْنَ فِي الْقُرْآنِ أَعْطَى أَخَاكَ
تَمْرَةً فَإِنْ لَمْ يَقْبَلْ فَأَعْطَهُ جَمْرَةً؟ فَقَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ
نَقِيضٌ لَهُ، سَيَطْنًا﴾ [الآية] ١. هـ.

وأخيراً: أخرج ابن أبي شيبة في «مصنفه» عن الحسن البصري
رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ قَوَّامٌ عَلَى نَفْسِهِ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ لِلَّهِ، وَإِنَّمَا خَفَّ
الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ حَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا شَقَّ
الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَوْمٍ أَخَذُوا هَذَا الْأَمْرَ عَنْ غَيْرِ مُحَاسَبَةٍ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ
يَفْجُوهُ الشَّيْءُ فَيَعِجْبُهُ فَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَهِيكَ وَإِنَّكَ لِمَنْ حَاجَتِي،
وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا مِنْ وَصْلَةٍ إِلَيْكَ، هِيَ هَاتَ حَيْلَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَيَفْرُطُ مِنْهُ
الشَّيْءُ فَيَرْجِعُ إِلَى نَفْسِهِ فَيَقُولُ: مَا أَرَدْتُ إِلَى هَذَا، مَا لِي وَهَذَا، مَا لِي عِدَدٌ
غَيْرَ هَذَا وَاللَّهِ لَا أَعُودُ إِلَى هَذَا أَبَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَوْمٌ أَوْثَقَهُمْ



الْقُرْآنُ وَحَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَلَكَتِهِمْ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَسِيرٌ فِي الدُّنْيَا يَسْعَى فِي
فِكَالِكِ رَقَبَتِهِ، لَا يَأْمَنُ شَيْئًا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ، يَعْلَمُ أَنَّهُ مَاخُوذٌ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ
كُلُّهُ» ا.هـ.

تم الفراغ منه في طبعته الثالثة في سُرَرِ شهر ربيع الأول لعام ألف
وأربعمائة وستة وأربعين للهجرة النبوية المباركة؛ فالحمد لله الذي بنعمته
تتم الصالحات.

هذا، والله ولي التوفيق وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه وإحسانه

أبو عبد الله الصادق بن عبد الله الهاشمي





ملحق مهم متعلق بأصل الدين

[اعرف أصل دينك واسأل عنه أهلك وذريتك ومن حولك،

وتأكد منه وتفقدهم فيه وعنده]

تَعَلَّمْنَا وعلمنا أهلينا وأولادنا الوضوء ونواقضه والصلاة ومبطلاتها
والصيام ومفسداته والحج ومجبطاته.

فهل نسينا أن نعلمهم العقيدة ومبطلاتها ونواقض الإسلام ومعنى
الطاغوت وحقيقة الكفر به وتحقيقه.

ألم نعلم بأن الله تعالى لن يقبل صلاة ولا زكاة ولا صياما ولا حجا
ولا برا ولا إحسانا ولا عبادة بل ولا إيمانا حتى نحقق الكفر بالطاغوت؟
ألا تعلم بأن الكفر بالطاغوت عِلْمٌ يلزم تَعَلُّمُهُ لنكون مؤمنين عند
الله تعالى حقا وليقبل الله إيماننا؟

ألا تعلم أن الإيمان بالله والكفر بالطاغوت متلازمان لا يقبل الله
أحدهما دون الآخر؟



سؤالان مهمان:

كيف سنكفر بالطاغوت ونحن لا نعرف ما هو الطاغوت وما هي أنواعه وما هو الطاغوت المائل في حياتنا اليوم؟ وكيف سنحقق الإيثار ونحن لا نعرف نواقضه ومبطلاته وما هو الموجود من ذلك في حياتنا المائلة اليوم من حولنا؟ واعلم رحمك الله أن الحذر والتحذير من انتقاض أصل الدين هو دعوة جميع الأنبياء والمرسلين ولهذا لم يبدووا بشيء قبل أصل الدين مطلقاً ولم يقدموا عليه شيئاً مهما كانت أهميته.

كما قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۚ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

وقال تعالى:

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٢٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٢٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ



أَلَمَوْتُ إِذْ قَالَ لِنِسِيِّهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنِّي بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَجِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ [سورة البقرة
١٣٠ - ١٣٣].

وقال تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ
وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
﴿٢٥٦﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦].

ولكي لا يعتذر أحد بأن هذا متعلق بقدرات الأنبياء والمرسلين
وعلو همتهم ضرب الله المثال بعبد من عباده لا هو بنبي ولا رسول
ووصفه بالحكمة وأنه آتاه الحكمة ألا وهو لقمان الحكيم الذي كان أول ما
أمر به ابنه المحافظة على أصل الدين والحذر من نواقضه.

كما قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِ ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ
يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ [سورة لقمان: ١٢، ١٣].

إذا لا إله إلا الله علم يتعلم وعمل يتنزل في الواقع ليستظم الحياة كلها
يلتزم به كمنهج راسخ لا محيد عنه قيد أنملة فلا يقبل أنصاف الحلول ولا



المجاملات على حساب الدين بلوازمها ومقتضياتها وضوابطها، وتعلم لنواقضها ليجتنبها ويتقيها ويحذر منها نفسه ومن يعول ومن حوله.

ألم نعلم أن ادعاء الإيمان وحده لا يكفي حتى يكون ذلك بعلم صحيح وعمل صالح خالص لله وحده لا شريك له؟

ألا نعلم أن الله تعالى قد نفى الإيمان عن أقوام تسموا به وزعموه وادعوه؟

ألم يقرر الله تبارك وتعالى أنه لن يقبل من العبد إيماناً يحدد فيه العبد معاملة بهواه لا يهدي الله؟

إذا علينا أن نجد ونجتهد وأن نبحت عن المواضع التي ذكر الله تعالى فيها أقواماً زعموا الإيمان ثم نفاه الله تعالى عنهم حتى لا نخادع أنفسنا ونخدع ذريتنا ورعيتنا.

وإليك هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر:

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ

بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ١٠٣].

[سورة يوسف: ١٠٣].



وقال ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمِعُوا لِلْكَذِبِ سَمْعًا وَلَمْ يَنتَهِ قُلُوبُهُمْ هَاجَرُوا عَنْكَ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ [سورة المائدة: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ [سورة المائدة: ٦١].

وقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَقُولُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [٤٧] وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ [٤٨] وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ [٤٩] أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَلَّا يُولَئِكَ لَهُمُ الظَّالِمُونَ [٥٠] إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [٥١]﴾ [سورة النور: ٤٧ - ٥١].

وقال ﷺ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ



غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾

[سورة الحجرات: ١٤ - ١٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا

﴿٦١﴾ [سورة النساء: ٦٠ - ٦١].

ونحو ذلك في كتاب الله تعالى وكذلك نسأل عما في سنة نبينا صلى الله عليه وسلم مما يتعلق بذلك.

وكما أننا لا نكفر عبدا بذنب ارتكبه ما لم يبلغ حد الكفر والشرك والنفاق الأكبر حتى يستحله أو يحدد حكمه، فكذلك لا بد أن نحذر من الذنوب التي تحبط العمل وتنقل العبد من الإيمان إلى الشرك والكفر المخرج عن الملة.

والآن فلنبداً:



تعريفات مهمة:

نواقض الإسلام: في الجملة هي الشرك والكفر والنفاق الأكبر بكل أنواعه ، وكذلك الطاغوت.

الشرك والكفر : هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

الطاغوت: هو اسم جامع لكل ما ينقض الإسلام ، وقيل هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

أنواع الطواغيت:

إِنلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ شَرَعَ مِنْ دُونِ اللهِ تَحْلِيلًا أَوْ تَحْرِيمًا أَوْ تَبْدِيلًا لِحُكْمِ اللهِ وَمَنْ حَكَمَ بِالشَّرْعِ الْجَاهِلِيِّ وَقَضَى بِهِ وَفَضَّ النِّزَاعَاتَ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ حَمَى الشَّرْعَ الْجَاهِلِيَّ وَرَوَّجَ لَهُ وَنَشَرَهُ وَمَكَّنَ لَهُ.

وكما تقدم فمن المهم جدا أن تعرف طاغوت زمانك لتعامله بها هو مأمور به شرعا بحسب وسعك ، وأن تسأل عنه العلماء الربانيين لا علماء السلاطين ولا المتأكلين بدينهم ولا المطبلين للطواغيت ولا الذين



يقدمون سلامة الدنيا على الدين ولا المرقعين والمبررين في هذا الأصل العظيم.

كيف يكون الكفر بالطاغوت: بمعرفته والحذر منه والتحذير منه وبغضه واعتزاله ومحاربته والسعي في اجتثاثه والعمل ضده.
النواقض على التفصيل:

١- عبادة الشيطان بطاعته في الكفر والشرك والنفاق الأكبر (شرك الطاعة).

٢- ارتكاب الكفر والشرك والنفاق الأكبر وهو يعلم غير مكره ولا مخطيء .

٣- القضاء والحكم بالكفر والشرك.

٤- فض النزاعات بالكفر والشرك (القوانين الوضعية والدساتير الجاهلية).

٥- الرضا بالكفر والشرك قولاً أو عملاً أو اعتقاداً.

٦- الطاعة في الكفر والشرك.

٧- تنصيب أنداد لله تعالى يتصرفون في الخلق أو الأمر من السلاطين ورؤوس العشائر والقضاة والعلماء والصالحين والشعوب.



- ٨- التجسس على المؤمنين لصالح الكافرين حتى تكون كلمة الذين كفروا العليا ، أو يكون تجسسه سببا لوقوع ذلك.
- ٩- موالاة من كره شرع الله بنصرته وطاعته ولو بالقول وموالاته في ذلك ولو في بعض الأمر مما كره.
- ١٠- التسخط على شرع الله بالقول أو العمل أو الاعتقاد.
- ١١- عدم الرضا بحكم الله ورسوله.
- ١٢- لبس الحق بالباطل بقصد الصد عن الإسلام.
- ١٣- الكذب على الله ورسوله والقول بغير علم ليضل الناس.
- ١٤- مخادعة الله ورسوله ، والله خادعهم.
- ١٥- زعم الإيمان بالله ورسوله مع النكول وترك العمل بشرائع الإسلام.
- ١٦- القول بأن الإيمان هو مجرد المعرفة أو مجرد التصديق وإن لم يعمل به.
- ١٧- القول بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب ولو كان كفرا أو شركا أكبر.
- ١٨- ادعاء العصمة للحكام من الكفر ولو وقعوا فيه وأن ولايتهم مع ذلك تامة معقودة صحيحة.



١٩- القول بالتحريم المطلق للخروج على الحاكم الكافر والمرتد ولو وجدت الشوكة القادرة الضاربة.

٢٠- التلاعب بأسماء الله تعالى وصفاته جحدا أو ردا أو تحريفا للمعاني عن حقيقتها.

٢١- نفي علو الله تعالى ونفي استوائه تبارك وتعالى على عرشه.

٢٢- القول بأن الله في كل مكان.

٢٣- الكفر بشيء من أسماء الله تعالى وصفاته.

٢٤- الكفر بالملائكة كلا أو بعضا.

٢٥- الكفر بالكتب المنزلة لا المحرفة كلا أو بعضا.

٢٦- الكفر بالأنبياء والرسل كلا أو بعضا.

٢٧- الكفر باليوم الآخر أو البعث أو الجزاء أو النشور أو الجنة أو النار أو الثواب أو العقاب.

٢٨- نفي علم الله السابق بأعمال عباده.

٢٩- نفي كتابة الله تعالى للمقادير قبل أن يخلق الخلق.

٣٠- نفي خلق الله تعالى لأفعال عباده.

٣١- نفي مشيئة الله تعالى السابقة النافذة.

٣٢- جعل ما قدره الله من الشر محبوبا لله تعالى مأمورا به شرعا.



٣٣- نسبة الظلم لله تبارك وتعالى.

٣٤- تكذيب الأخبار الصحاح بعد ثبوتها عنده بالعقل والرأي والهوى.

٣٥- استحلال المحرمات أو تحريم الحلال بالقول أو الاعتقاد أو عمليا بتقنينها أو إعطاء الإذن بترخيصها والفسح لها أو تشريعها.

٣٦- الموالاة التي تجعل كلمة الذين كفروا العليا.

٣٧- مودة الكفار المحادين لله تعالى ولرسوله ﷺ.

٣٨- القول بنجاة غير المسلمين في الآخرة أو الحكم لهم بالشهادة أو بالجنة أو بالرحمة والمغفرة.

٣٩- القول بأخوة الدين بين الكافر والمسلم.

٤٠- إلغاء الفوارق الشرعية بين الكفار والمسلمين وجعل الحكم للإنسانية والوطنية والجنسية والقبلية.

٤١- إلغاء الفوارق الشرعية بين الذكر الأنثى والتسوية بينهما في ذلك.

٤٢- كفالة الحريات التي حرّمها الشرع أو تقنينها أو تنزيلها أو حمايتها بعد إقرارها لكون القانون الجاهلي قد كفلها.

٤٣- جعل السيادة والريادة للقانون الجاهلي.



- ٤٤- احترام وتوقير القانون والدستور الجاهلي.
- ٤٥- القيام والاحترام والتوقير والتقدير لشعائر الجاهلية وخصائصها.
- ٤٦- تشريع الأعياد والمواسم الطاغوتية والجاهلية.
- ٤٧- الشك أو التشكيك في وعد الله ووعيده.
- ٤٨- الشك أو التشكيك في الرسول ﷺ وهديه أو خلقه أو دعوته.
- ٤٩- الطعن في الرسول ﷺ وهديه أو خلقه أو دعوته.
- ٥٠- تكفير عموم الصحابة رضي الله عنهم أو غالبهم.
- ٥١- تكفير من شهدت الأدلة الصحيحة الصريحة له بالجنة والشهادة.
- ٥٢- الطعن في براءة المبرأة المطهرة المصونة العفيفة زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها.
- ٥٣- اتخاذ مطاف للناس من قبور ومشاهد وكعبة الرافضة ونحو ذلك كما هو فعل الله تعالى بالكعبة المكرمة المشرفة.
- ٥٤- ادعاء عدم صلاحية حكم الإسلام للعالم اليوم أو أي يوم سواء كان ذلك بالقول أو التقرير أو العمل والكتابة.



٥٥- الدعوة إلى العلمانية أو الدولة المدنية أو دولة المواطنة والإنسانية أو الديمقراطية الكافرة.

٥٦- وصف الإسلام بالأوصاف المنفرة عنه والمقبحة له.

٥٧- تفضيل الكفار على المسلمين وأنهم أهدى من الذين آمنوا سييلا.

٥٨- الامتناع عن تحكيم الشريعة.

٥٩- القتال لمنع تحكيم الشريعة.

٦٠- السعي والمشاركة في منع تحكيم الشريعة.

٦١- دعاء غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى سواء من الأموات أو الأحياء حاضرين كانوا أو غائبين.

٦٢- الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى سواء من الأموات أو الأحياء حاضرين كانوا أو غائبين.

٦٣- النذر والذبح لغير الله تعالى تقربا.

٦٤- ادعاء شركاء مع الله في ملكه المطلق لما في السماوات والأرض.

٦٥- ادعاء أن الله تعالى ظهيرا أو معينا.

٦٦- ادعاء ملك أحد للشفاعة مع الله تعالى أو من دونه.



٦٧- من جعل بينه وبين الله تعالى وسائط يعبدهم ويدعوهم ويسألهم ليقربوه إلى الله زلفى.

٦٨- التوكل على غير الله تعالى.

٦٩- الردة عن الإسلام أو اتباع ملة أخرى.

٧٠- من لا يكفر من لم يدخل في الإسلام أصلاً أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

٧١- من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر.

٧٢- من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر.

٧٣- تعاطي الكهانة وسحر الجن ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر وكذلك من صدقه.

٧٤- المظاهرة الشركية على المسلمين.

٧٥- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر.

٧٦- الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به.

٧٧- نسبة الباطل لله تعالى أو لرسوله ﷺ.



٧٨- اتهام النبي ﷺ في صدقه أو عدله أو عفافه.

٧٩- حضور مجالس ومحافل ومجامع الطعن في الدين والكيد له والرضى بذلك ولو لم يشارك ، وكذلك إن شارك ولو كان كارها لذلك ولكن فعل ذلك لعرض الحياة الدنيا.

٨٠- الاستكبار على الله تعالى وشرعه وكتابه ورسله.

٨١- قتل الأنبياء والمرسلين ومقاتلتهم.

٨٢- قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس لعملهم بذلك.

٨٣- الفرح بانخفاض دين الرسول ﷺ.

٨٤- الاشتزاز عند ذكر توحيد الله تعالى والدعوة إلى التوحيد

الخالص.

٨٥- الفرح والاستبشار عند ذكر الأنداد والشركاء.

٨٦- المحبة الشركية.

٨٧- إنكار استمرار الجهاد وبقائه وانتصار أهله وأن العاقبة

للمتقين.

٨٨- الشك أو التشكيك في حفظ الله تعالى لكتابه وسنة نبيه ودينه.

٨٩- محاربة أو معاداة ملة إبراهيم القائمة على الولاء والبراء في الله

والبراءة من الشرك وأهله.



٩٠- القول أو العمل بعقيدة الحلول والاتحاد بين الخالق تبارك وتعالى والمخلوق مهما كانت منزلته ولو بأقل شيء.

٩١- القول بخلق القرآن وأنه ليس كلام الله بل هو مخلوق.

٩٢- القول أو الاعتقاد أن النصر بيد أحد سوى الله تعالى كائنا من كان مهما بلغ من القوة والجبروت.

٩٣- القول أو الاعتقاد بأن ثمة مدبرين مع الله تعالى أو مستشارين.

٩٤- القول أو الاعتقاد بأن الخرائن عند غير الله تعالى.

٩٥- سب الله أو الدين أو الرسول.

٩٦- خوف السر وأن هناك من له القدرة على أن يضرك من دون الله تعالى.

٩٧- الرغبة الشريكية وأن هناك من له القدرة على أن ينفعك من دون

الله تعالى.

٩٨- القول أو الاعتقاد بأن هناك رزاقا مع الله تعالى أو من دونه.

٩٩- إنشاء الطاعات والقربات ابتغاء عرض الحياة الدنيا ابتداء

وانتهاء ورياء وسمعة.

١٠٠- ترك الصلاة جمحودا أو تكاسلا تركا كليا أو أغلبيا.

١٠١- ترك الزكاة مع القتال على تركها ومنعها.



- ١٠٢- جحد شيء مما ثبت من دين الرسول صلى الله عليه وسلم.
- ١٠٣- ادعاء الرسالة والنبوة.
- ١٠٤- نسبة البداءة لله.
- ١٠٥- تجويز الحكم بغير الشريعة.
- ١٠٦- ادعاء إنزال مثل وحي الله.
- ١٠٧- القول بأن الدولة ومؤسساتها لا توصف بدين وإنما هذا خاص بالأفراد فيما بينهم وبين الله تعالى.
- ١٠٨- جعل الإسلام مادة للتصويت والاختيار مع خيارات الكفر والزندقة الأخرى من علمانية وإلحاد وفي الجملة دين الجاهلية دين الشيطان والدجال.
- ١٠٩- قتال المطالبين بتطبيق الشريعة.
- ١١٠- الاستهزاء بالله أو رسوله أو شيء من دينه أو حملته ودعائه لأجل عملهم بذلك.
- ١١١- تفضيل الأولياء على الرسل والأنبياء وأنهم يمكن أن يكونوا أهدي سبيلا.
- ١١٢- ادعاء أن الدين فيه علم باطن يخالف علم الشريعة الظاهرة وأن علم الباطن هو الحق والمقدم.



١١٣ - القول بأن فهم الصحابة للدين أقل مرتبة من فهم أصحاب علم الباطن وأهل الكلام وأن طريقة الباطنية والمتكلمين أعلم وأحكم وأهدى.

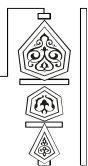
١١٤ - القتال في سبيل الطاغوت، والدفاع عنه، والسعي في إرساء دعائم الطاغوت ونصرته ومناصرته، والتمكين له، والمدافعة عن حكمه.

١١٥ - تفضيل وتقديم الحاكم بالطاغوت على الحاكم بشرع الله القائم به سواء كان التفضيل والتقديم قولاً أو عملاً أو اعتقاداً.

١١٦ - إبرام العهود والمواثيق الداخلية أو الخارجية التي تتضمن أو تنص على محاربة التوحيد ومحاربة الشريعة النبوية والتي تعمل على نشر الكفر والشرك وتقنن الفاحشة، وتحارب قيام دولة إسلامية تُقاد بكتاب الله.



فهرس



٥.....	المقدمة
٦.....	الإنسان والأمانة الكبرى
٩.....	كيف بدأ الله هذا الخلق العظيم؟
١٦.....	أولاً: عرض الأمانة الكبرى
١٩.....	ثانياً: حقيقة الأمانة
٢٣.....	ثالثاً: مقومات حمل الأمانة الكبرى
٢٣.....	○ أحدها: التسخير العام
٢٩.....	○ ثانيها: إرسال الرسل وإنزال الكتب
٣٢.....	○ ثالثها: فتح باب التوبة
	○ رابعها: التجاوز عن الخطأ والنسيان وما استكرهنا عليه وما حدث
٣٧.....	به نفوسنا
٣٨.....	○ خامسها: مراكب الخلاص
٤٠.....	المركب الأول: الإخلاص والمتابعة
٤٣.....	المركب الثاني: إقامة الفرائض
٤٧.....	المركب الثالث: الدعاء
٥٢.....	المركب الرابع: الأذكار
٥٨.....	رابعاً: حقيقة حمل الأمانة وأبعادها



- ٦٥.....مقولتان آثمتان خاطئتان وشبهة باطلة جائزة
- ٧٢.....عبد عابد وعبد معبد
- ٧٥.....السبيل في طلب العلم
- ٨٠.....سادسًا: ما يعين على تذكر الأمانة وعدم نسيانها
- ٨٠.....○ أولاً: تدبر القرآن الكريم
- ٨٣.....○ ثانيًا: التفكر في هذا الكون العظيم
- ٨٩.....○ ثالثًا: تذكر الدار الآخرة
- ٩١.....سابعًا: احذر قطاع الطريق
- ٩٢.....○ أولهم: إبليس أعاذنا الله وإياكم منه
- ٩٥.....○ ثانيهم: النفس الأمارة بالسوء
- ٩٦.....○ ثالثهم: الهوى الذي يعمي ويصم
- ٩٩.....○ رابعهم: الدنيا الغرورة
- ١٠٤.....قصة مؤثرة
- ١٠٨.....○ خامسهم: وهو أخطرها شياطين الإنس
- ١١٨.....ثامنًا وأخيرًا: إذن الأمانة فالكرامة أو المهانة
- ١٢٢.....ملحق مهم متعلق بأصل الدين
- ١٢٨.....تعريفات مهمة
- ١٢٨.....نواقض الإسلام
- ١٢٨.....الشرك والكفر
- ١٢٨.....الطاغوت
- ١٢٨.....أنواع الطواغيت



فهرس ١٤٠



**** قائمة كتب المؤلف ****

● صدر للمؤلف:

- ١- التوسل المشروع وما يضاده.
- ٢- الاستنباطات البهية من الأدلة الشرعية.
- ٣- الدرر والزهور من حديث جبريل المشهور (أكثر من ٤٠٠ فائدة).
- ٤- المحبة الحقيقية للأزواج والذرية.
- ٥- الداء العضال.
- ٦- القول المبين في أخطاء بعض الحجاج والمعتزمين.
- ٧- يا أمة الإسلام الاستعلاء بالإيمان.
- ٨- رسائل رمضان إلى أمة القرآن.
- ٩- الإنسان والأمانة الكبرى.
- ١٠- المفاهيم والحقائق الغائبة.
- ١١- فتنة العصر (التشريع).



١٢- أجهزة الدمار الشامل.

١٣- الموسوعة الكبرى (الجامع الثمين لأخطاء بعض المصلين والأئمة والمؤذنين والمساجد والمتهجدين).

١٤- إسعاف السُّؤُول بشرح ثلاثة الأصول.

١٥- الديمقراطية والإسلام ضدَّان لا يجتمعان.

16- الهوى سر الهوان



● كتب ستصدر قريباً إن شاء الله تعالى:

- ١- الحقوق العليّة خير البرية ﷺ.
- ٢- الإجماعات السنّية لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٣- الطائفة البرهانية في ميزان الإسلام.
- ٤- الأمراض الشائعة.
- ٥- الكيفيات المتعدّات لصفات الوضوء والتيمم وغسل الجنابة والصلاة.
- ٦- فساد التّصوُّر.
- ٧- المخرج من الفتن.



● كتب تحت الإعداد:

- ١ - تفسير جزأي عَمَّ وتبارك.
- ٢ - شرح العقيدة الواسطية.
- ٣ - شرح علل النسائي.
- ٤ - ما ضَعُفَ من الأحاديث والآثار في سيرة النبي المختار ﷺ.
- ٥ - الكلمات الرَضِيَّة في الخطب المنبريَّة.
- ٦ - ما خالف الدليل من أخبار بني إسرائيل.
- ٧ - الصراط المستقيم.
- ٨ - الطريق إلى السعادة.
- ٩ - إناهم فتية آمنوا بربهم.
- ١٠ - موزع الحسنات.